

أرسيث لوبيث

الخدعة الكبرى



مغامرات " ارسين لوبين "

ذو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة . وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم . والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحلل وتكشف عن مرتكبيها .

تعد الروايات البوليسية التي تحمل اسم البطل (ارسين لوبين) أعظم الروايات البوليسية في مطلع هذا القرن والتي كتبها الكاتب الفرنسي " مورييس بلان " وقد لاقت إقبالا عظيماً من القراء وخاصة المهتمين بدراسة الجريمة وتحليل دوافعها وإحاطة اللثام عن مرتكبيها وتقديمهم للمحاكمة لينالوا الجزاء الرادع . لذلك احتلت رواياته وقصصه مكانة مرموقة في عالم القصة البوليسية .

وهذا البطل (ارسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف . والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته الى الثراء وكسب المال او للثأر والانتقام من خصومه . وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة . إنه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس .

وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصص بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء والصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان .

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة . فلا عجب إن احتلت رواياته مكانة عظيمة في قلوب جميع القراء في كل أنحاء العالم .

برنارد الأسطه

يقدم

الرواية المعربة

الخدعة الكبرى

(٢٩)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوپين"

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب ٣٧٤ جونية - لبنان

تلفون : 00 961 9 902 131

فاكس : 00 961 9 902 939

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعاً باتاً نقل أي جزء أو قسم من هذا الكتاب

وبأية وسيلة إلا بعد الحصول على موافقة خطية من الناشر

الفصل الأول

اشرفت الساعة على الثالثة بعد منتصف الليل . ومع ذلك كان هناك رتل من السيارات لا يزال قائماً بباب دار من تلك الدور الصغيرة التي يقطنها رجال الفنون في الغالب والتي تطل على شارع (برتييه) .

وانبعث لغط من وراء باب ذلك البيت ، ثم فتح وبرز منه نفر من الضيوف رجالا ونساء خرجوا إلى الطريق وهم يتضحكون ويتحاثلون .

وتحركت المركبات للمسير فانعطف بعضها يمينا ومضى بعضها يساراً ، فلم يبق في المكان إلا رجلان مشيا معا يتجاذبان اطراف الحديث ثم افترقا عند ناصية شارع «كورسيل» حيث يقيم احدهما ، اما الثاني فتابع طريقه متجها إلى (بورت مايو) وقد أثر ان يرجع إلى داره سيراً على قدميه .

ثم عبر شارع (فيليبه) واستمر في سيره على الإفريز المقابل في محاذة الحصون الحربية القائمة هناك .. وطاب له المسير في ذلك الليل الهادئ ذي السماء الصافية التي تتالق النجوم في صفحتها ، والسكون يرجع صدى خطواته ، وهو يضرب الأرض بقدميه في جنل ومرح .

على انه ما مشى بضع دقائق حتى وقع في روعه ان هناك من يتعقبه .

وتيقن من الامر حين ادار رأسه فجأة فلمح شبح رجل يتوارى بين الأشجار .

وما كان صاحبنا بالجبان الرعديد ، ولكنه رأى من الحكمة ان يعجل في السير ليبلغ (او كنزوا دي تيرن) في اقصر وقت ممكن ، وما أدرك مطارده بغيته حتى انطلق يجري في إثره . فاشتد القلق بالرجل واستدار ليوواجه خصمه وقد امتدت يده إلى جيبه الخلفي ليخرج مستنسه .

ولكن الوقت كان اضيق من ان ينفسح لإخراج المسدس فقد انقض عليه مطارده في سرعة البرق الخاطف ، ونشب بين الرجلين عراك

عنيف في تلك الطريق المهجور الذي انقطعت منه اقدام السابلة في مثل تلك الساعة من الليل ، ثم التحم منهما الجسمان ، وانهاالت اللكمات ، وادرك صاحبنا ان خصمه اقوى منه بنية واشد مراسا ، فصرخ يستنجد باعلى صوته ، واخذ يناضل عن نفسه ما وسعه النضال . ولكن ما عسى تغني الصرخات وهي تتبدد في الهواء ، وما عسى يغني النضال إزاء خصم عنيد يحقق فنون الصراع ؟ . واخيراً اصابته لكمة حاسمة القتت به على الأرض صريعاً لا يقوى على النهوض ، وجثم خصمه الجبار فوق صدره ، واطبق بيد على عنقه ، واخذ باليد الأخرى يحشو فمه بمنديل جعل منه كمامة تمنعه من الكلام .

انغمض الرجل عينيه في تعب وإعياء ، وانبعث في انفيه طنين عجيب وادرك انه يوشك ان يفقد رشده ويصاب بنوبة من الإغماء . وفجأة ... وعلى غير انتظار .. تراخت الأصابع التي تخنق عنقه .. وانزاح الثقل الجاثم فوق صدره . وبدوره .. انبعث خصمه واقفا ليدافع عن نفسه ضد هجمة فجائية غير متوقعة .

واعقب هذا ضربة من عصا .. وركلة من قدم .. ثم تاوه الرجل متوجعاً ، وانطلق يجري وهو يسب ويشتم . ولم يخطر للمنقذ ان يتعقب الهارب وإنما مال فوق المعتدى عليه وهو صريع على الأرض وقال في صوت تدل نبراته على العطف والرفق:

- هل اصابك سوء يا سيدي ؟

فهز الضحية رأسه وقال في صوت خافت إنه بخير ، ولكنه متعب منهك القوى لا يستطيع النهوض .

واقبل شرطي على الجلبة فاستدعى مركبة حملت الرجل ومنقذه إلى شارع (الجيش) .

وحين بلغت المركبة بيت الرجل ، وكان قد افاق مما اصابه اخذ يكيل الشكر لمنقذه . قال في لهجة تنم عن الاعتراف بالجميل :

- إنني مدين لك بحياتي يا سيدي .. وكن موقنا من اني لن انسى

حسن صنيعك .. ويجب ان اقدمك يا سيدي إلى زوجتي لتزجي إليك
الشكر بنفسها . ولكني اؤثر ان ارجئ الأمر إلى الغد حتى لا ازعجها
بالنبا في مثل هذه الساعة من الليل ، فهلا تناولت الغداء معنا غداً ؟
ولما ابدى المنقذ شيئاً من التردد أخذ الرجل يلحف في رجائه ونكر
له انه يدعى "لأوفيك" أمبرت وارنق يقول :

- وهل لي ان اتشرف بمعرفة اسمك يا سيدي ؟
فاجاب الآخر في غير تردد :

- بكل تأكيد .. إنني ادعى "هوراس فيلمونت" .
و"هوراس فيلمونت" احد الاسماء العديدة التي ينتحلها "أرسين
لوبين" حين يريد ان يخفي شخصيته . !
* * *

حين استيقظ "لوبين" في صباح اليوم التالي واستعاد إلى ذهنه
حوادث الليلة الماضية أخذته نشوة من الغبطة والابتهاج .. الم تصبح
الغاية التي ينشدها دانية ميسورة .. ! الم يعد الهدف المرتقب في
مقناول يده . !

الا إنها لغاية تستحق ما يبذل من جهد ومشقة . !
ملايين "أمبرت" .. إنه ليشتهيها ويتلف إليها . ! وفي سبيلها لن
يحجم عن شيء ولن يتردد في انتهاج كل حيلة ممكنة . وغادر "لوبين"
فراشه وارتنى ثيابه .. ولكنها لم تكن الثياب المألوفة التي اعتاد ان
يلبسها كل يوم .. فقد حرص على ان يضفي على نفسه مظهر الفاقة
والعوز : جاكته حال لونها ، وقبعة قدم طرازها ، وبنطلونا لم ير
الكواء منذ امد طويل . ! كانت ملابسه نظيفة ولكنها قديمة ..
والنظافة والقدم إذا اجتمعا كانا دليلا على ان صاحبهما رجل
تكررت له الايام وخانته الحظوظ .

وفي هذا الزم العجيب أخذ "لوبين" يهبط درج مسكنه القائم في حي
(مونمارتر) . فلما بلغ الطابق الثالث قرع بمقبض عصاه باباً مغلقاً
بون ان يقف او يتريث .. وإنما تابع هبوطه حتى خرج إلى الطريق .
ومرت به مركبة الترام فوثب إليها ، وصعد خلفه رجل كان يمشي في
إثره واتخذ مجلسه إلى جواره .

وما كان هذا الرجل إلا ساكن الطابق الثالث الذي طرقه "كوبين" عند نزوله .

وبعد لحظات مال الرجل إلى "كوبين" وقال في صوت منخفض :

- ما رأيك يا رئيسي ؟

فاجاب "كوبين" دون أن يدير رأسه إلى ناحيته :

- كل شيء على ما يرام .

- كيف ؟

- لقد دعاني للغداء عنده اليوم .

- دعاك للغداء !

فضحك "كوبين" ضحكة خفيفة وارف يقول :

- اكنت تريد مني أن اجازف بحياتي لقاء لا شيء ! ! احسبتي ممن يستهدفون للاخطار عبثا . ! لقد انقذت مسيو "لابوفيك امبرت" من الميتة التي اعدتها انت له فشكرني واثني علي ودعاني لتناول الغداء معه .. لقد كانت خدعة حائقة يا بني . ! "كوبين" يدبر اعتداء مزعوما على "امبرت" ثم يخف إلى نجده . ! معدد ومنقذ في وقت واحد . !
يا للبراعة !

وساد صمت قصير قطعه الرجل بقوله :

- إذن فلا تزال مصراً على رأيك ؟ . الا تنوي العدول ؟ .

فابتسم "كوبين" وقال :

- ايعمل "كوبين" يا بني بعد أن قطع هذا الشوط الكبير في سبيل الغاية المنشودة . ! لقد دبرت اعتداء الليلة الماضية .. وظللت منزويا عند الحصون حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل .. ثم هويت على رأسك بعصاي وزكلتك بقدمي ، وانت اخلص اعواني واصدقهم في خدمتي ، فهل تبغي مني بعد هذا أن انكص واتراجع . ! والله إنك لتجهل "كوبين" أشد الجهل يا بني . ! وهذه الملايين التي تتألق امام عيني وتكاد تبهر مني البصر . ! كيف تطلب إلي أن اتخلي عنها .. فقال الرجل معترضاً :

- وهذه الإشاعات المقلقة التي ترددها الألسن عن تلك الثروة ؟ .

فهز "كوبين" كتفيه في غير اكتراث وقال :

- فليريدوا ما شاعوا فلست ابالي بما يهرفون . ! منذ ستة اشهر بدأت اهتم بهذه المسألة .. ستة اشهر وانا انقب وابحث واجمع المعلومات . ستة اشهر وانا ادبر الخطط واهيى الفخاخ واتحرى عن السر المجهول من الخدم والمرابين .. ستة اشهر وانا اتعقب "امبرت" وزوجته وارقبهما وادرس كل حركة من حركاتهما .. فكيف تسألني بعد هذا عما إذا كان في نيتي ان أرجع القهقري! الا إنها لتكون حماقة كبرى لو ان مثل هذا الخاطر طاف بذهني مجرد طواف! والآن بعد هذه التحريات الدقيقة المتشعبة استطيع ان أوكد لك ان الثروة موجودة . ! وليس يعني اني ان كانت قد جاعتهما من «راوفورد» او من مصابر أخرى .. وإنما حسبي من الامر انها موجودة . ! ومثل هذه الثروة إن وجدت فلن يتخلى عنها كوبيين ..

فغمغم الرجل يقول في لهجة المتلهف الظمان :

- يا إلهي ؟ ! إنها كنز عظيم . ! مائة مليون فرنك . !
- فلنكن عشرة . ! او خمسة . ! هذا امر يعروه الشك .. ولكن الشيء الذي لا تخالطه نرة من الريبة هو ان خزانة "امبرت" عامرة بالسندات. إنها مكتظة برزم ضخمة من السندات حتى لتكاد تتفجر جوانبها . !
وإني لاكون أخيب الناس إن عجزت عن الاستيلاء على المفتاح عاجلاً وكانت المركبة قد بلغت إذ ذاك ميدان النجمة «ليتوال» فقال الرجل :
- اما من تعليمات جديدة تصدرها إلي . ؟
- نعم .. فلا يزال في الوقت متسع ، وسأنبئك حين أكون في حاجة إلى أية معونة .

* * *

وبعد خمس دقائق كان "أرسين لوبيين" يطرق باب قصر "لانوفاك" امبرت .

وقدمه رب الدار إلى زوجته ..
و«جرفيز» امرأة بدينة الجسم لطيفة المعشر حلوة الحديث ، ولكنها ثرثارة مولعة بالكلام ، لا تكاد ترد لسانها إلى حلقها .
واقبلت على «لوبيين» تحييه وترحب به ترحيباً حاراً وهي تقول :
- لم نشأ ان ندعو اليوم أحداً إلى مأدقتنا رغبة منا في ان نكرس كل

وقتنا للترحيب بمنقذنا الشهم .

ومنذ اللحظة الأولى أخذ أميرت وزوجته يعاملان «منقذهما الشهم»
كانه صديق قديم توثقت بينه وبينهما أواصر المعرفة والمودة ، وما
شارفت المأبدة نهايتها حتى كانت صلات الصداقة قد رسخت
وتوطدت .. فتبويت الأسرار . وانكشفت طوايا القلوب .. ولم يعد احد
منهم يكتم عن صاحبه خفايا النفس ..

فتحدث «كوبين» طويلاً عن نفسه وعن أبيه .. عن ذلك الأب الذي زعم
انه كان قاضياً نزيهاً عف اليد .. وتحدث عن طفولته البائسة وما لقي
من عنث وشقاء عقب موت أبيه .. ثم تحدث عن متاعبه الحالية وكيف
تلح عليه حاجات الدنيا وترهقه مطالبها .. وهو صامد يجالذ الفاقة
في غير وهن أو ضعف .

وتحدثت «جرفيز» عن أيام الشباب الخالية . وعن زواجها .. ثم
تحدثت عن «راوفورد» وما طبع عليه من السخاء وطيبة القلب وكرم
النفس . وأخيراً تحدثت عن المائة مليون التي ورثتها ، وعن العقبات
التي لا تزال قائمة في طريقها تحول دونها والاستمتاع بهذه الثروة
الضخمة وكيف قسرتها الظروف الملحة على الاقتراض بفوائد كبيرة .
ثم تحدثت عن ذلك النزاع المستحكم بينها وبين أبناء أخي «راوفورد»
وعن شروط الوصية وعن الحراسة القضائية المفروضة على السندات .
وقصارى القول : إنها أفضت إلى «كوبين» بتفاصيل القصة كلها ، ما
يعلم منها وما يجهل .

واختتمت المرأة المسكينة حديثها بان قالت في لهجة مؤثرة :

- تصور يا مسيو «فيلمونت» ان السندات والاسهم موجودة كلها
هنا .. في الغرفة المجاورة .. في مكتب زوجي . ! ولكن لو اننا اقتطعنا
منها كوبوناً واحداً وقبضنا قيمته من البنك لفقدنا كل شيء . ! كل
شيء . ! يا إلهي . ! خزانتنا عامرة بالأوراق المالية ومع ذلك لا
نستطيع ان نلمسها او نمد إليها يداً . ! ليست هذه الحالة نكبة لا
تطاق . !

وغمغم «كوبين» يقول :

- إذن فالسندات هنا ؟ .

فاجابت المرأة بقولها :

- نعم هنا . ! وهذا هو الشيء الذي يحزنني . ! لو كانت بعيدة عن متناول أيدينا لكان الأمر أخف وأهون .. أمامنا ، وتحت بصرنا ، ومع ذلك لا نملك أن نمسها . ! يا لها من نكبة . !
أمن كويين" على قولها .. إنها حقاً نكبة جسيمة أن تكون السندات هنا .. في متناول يده هو . ! ومع ذلك لا يملك أن يمسه ، أو يسرقها !

وتدرج الحديث وتشعب ..

وعلى الأسئلة التي أقيت في لباقة وكياسة اعترف كويين" بما هو عليه من رقة الحال والحاجة إلى العمل بعد أن أرهقته البطالة ، وارتسمت إمارات التأثير على وجه الزوجين .. ولم يتردد "أمبرت" في أن يعرض على كويين" أن يتخذ سكرتيراً له لقاء مرتب شهري قدره مائة وخمسون فرنكاً . ! وأبدى كويين" ابتهاجه بهذا المنصب الذي سينتشله مما يعاني من الفاقة والفقر .
وقال "أمبرت" :

- ولا حاجة تدعوك إلى الإقامة معنا : فلك أن تظل مقيماً في مسكنك ، ولكننا سنفرد لك غرفة في الطابق الثاني لتكون مكتباً لك .
وابتهج كويين" بذلك ، واختار غرفة لنفسه ، ولكنه حرص على أن تكون غرفته واقعة فوق مكتب لادوفيك" .
* * *

لم يكن "أرسين لوبين" في حاجة إلى وقت طويل كي يدرك أنه يتناول مرتباً دون أن يزاول عملاً .. ! وبان مركز السكرتارية الذي يتولاه انسى ما يكون إلى البطالة .. ! لقد مر به شهران لم يعهد إليه مخدمه في خلالهما إلا بكتابة أربع رسائل .. ! ولم يستدعه إلى مكتبه إلا مرة واحدة .. !

ولم يغب عن كويين" أن مسيو "أمبرت" لم يدعه ولا مرة واحدة إلى المائب أو الحفلات الساهرة التي يقيمها .. ولم يغضبه الأمر أو يهيج نغمته ، بل لقد كان في الواقع راضياً مرتاحاً إذ كان يؤثر هذا الانزواء عن الناس .. كان يفضل أن يلبث متوارياً في الظلام ، يعمل ويدبر .

دون أن يراه أحد أو يفسد عليه خطته فضولي يتدخل .

ولم يضيق "كوبين" دقيقة واحدة عبثاً .. لقد حرص منذ اللحظة الأولى على أن يعمل وعلى أن يستغل كل ساعة يمضيها في القصر .. لقد زار مكتب مسيو "امبرت" زيارات خفيفة مختلسة ، والقى على الخزانة نظرات فاحصة ..

وكانت الخزانة مصنوعة من الفولاذ على طراز حديث يستعصي على ما بلغ إليه فن اللصوصية من وسائل بارعة لاغتصاب الخزائن . فلو أن ابرع المغتصبين أراد فتحها لاستحال عليه الأمر ولا يترك خبيته فور نظرة يلقيها عليها .

وقال "كوبين" في نفسه : - إنني أعلم أنني لن أقصر دون اغتصابها . ولكن لأبد لي من ساعة أو ساعتين . فكيف تتاح لي هذه الفرصة ومخدع الزوجين ملاصق لغرفة المكتب ؟ إن أقل حركة أو جلبة كفيفة بتنبيهما من النوم .. !

ثم هز كتفيه في غير مبالاة وأخذ يناجي نفسه : ولكن حيث يخفق العنف ينتصر الدهاء .. ! وحسبي لكي أظفر أن أظل يقظاً مرهف الأنين لا تغفل لي عين .. ! وشرع "كوبين" في العمل .

أتى بانبوبة معدنية أنفثها من ثغرة أحدثها في أرضية غرفته . ومدها في خفاء حتى بلغت سقف مكتب لا يوفيك .. ! وبواسطة هذه الأنبوبة استطاع أن يحقق ما يبغي : منها يسمع وبها يرى .. وبذلك ظل مرهف الأنين لا تغفل له عين .. !

وهكذا أمضى "كوبين" نهاره منبطحاً على الأرض في غرفته : عينه تارة على فوهة الأنبوبة . وأنثه تارة أخرى . وكم من مرة رأى الزوجين إزاء الخزانة يخرجان منها رزماً من السندات والأشهر يقبلانها بين أيديهما ويطلقان إليها النظر . ثم يردانها مكانها وهما يتنهدان حسرة وأسفاً .. !

وحين راهما يفتحان الخزانة حاول أن يعد (تكات) الأرقام وهي تدور عليه يستطيع بذلك أن يهتدي إلى كلمة السر .. ولقد حرص على أن يصغي إلى ما يدور بينهما من حديث . كما حرص على مراقبة

حركاتهما ..

ترى اين يخبئان المفتاح ؟

وفي ذات يوم رأهما يغادران غرفة المكتب دون أن يغلقا الخزانة .
فانطلق من فوره يهبط السلم وثبا . ودخل المكتب في غير تردد ولكنه
الفاهما قد رجعا .. !

جمد كوبيين مكانه وقال معتذرا :

- اوه .. اني أسف .. لقد اخطأت الغرفة .. !

وهم بأن يعود ادراجاه . ولكن "جرفيز" تعلقت بنزاعه وجذبته إلى
الداخل وهي تقول :

- ادخل يا مسيو "فيلومنت" .. ادخل . إنك عندنا اعز من الاهل ..

فضلا عن أننا في حاجة إلى مشورتك : أيهما ننصحنا أن نبيع :
سندات (فور) أم سندات (رينت) ؟ ..

فبانث الدهشة في وجه كوبيين وقال في لهجة تنم على الاستغراب :
- وشروط الوصية .. ؟

- إنها لا تتناول جميع ما لدينا من سندات . إن لنا الحق في أن
نتصرف في بعضها .

وفتحت "جرفيز" باب الخزانة .. وأخذت عين كوبيين مشهدا لا
ينسى .. كانت الرفوف مكتظة بحلقات مشدودة بسيور من الجلد ..
وكان يعرف أن هذه الملفات .. محشوة بالسندات والأسهم .. !

تناولت "جرفيز" أحد الملفات وهمت بأن تفتحه . ولكن
زوجها اعترضها بقوله :

- إن من الحماسة يا "جرفيز" أن نبيع سندات (فور) وهي أخذة في
الصعود . على حين أن سندات (رينت) قدبلغت من الصعود غايتها .
فلا رجاء لها بعد في صعود جديد .

ثم تحول فجأة إلى كوبيين وقال :

- وما رايك أنت في هذا يا صديقي العزيز ؟

ولكن لم يكن للصديق العزيز رأي يبديه . غير أنه اشار ببيع
سندات (رينت) . فربت "جرفيز" الملف مكانه وتناولت سواء وانتزعت
منه سنداً قدمته إلى زوجها فدسه في جيبه .

وبعد ظهر ذلك اليوم نفسه اصطحب "أمبرت" سكرتيره "كوبين" ومضى إلى أحد السماسرة فباعه السند وتلقى ثمنا له : ستة وأربعين ألفا من الفرنكات .

وعلى الرغم مما يلقي "كوبين" في هذا البيت من ترحيب .. وعلى الرغم مما أكتته له "جرفيز" أكثر من مرة أنه عندها وعند زوجها أعز من الأهل ، على الرغم من ذلك لم يغب عن "كوبين" غرابه .. مركزه في هذه الدار . وفي كثير من الأحيان تخالجه الدهشة العميقة مما يرى ويسمع .. فقد لاحظ مثلا أن الخدم يجهلون اسمه جهلا تاما مكتفين بتلقيبه «بالسيد»، وكذلك «لادوفيك» نفسه . فهو لا يفتأ يقول : هل جاء السيد .. ؟ قل للسيد كذا وكذا ... هل خرج السيد ؟ ..

فهو دائما عند الجميع «السيد»، ولا شيء غير «السيد» ! فلم هذه التعمية..؟ ولاي غرض هذا الإيهام ؟ .

على أن الشيء الذي أثار دهشته أكثر من أي شيء آخر إنما هو النفور الذي بدا من "أمبرت" وزوجته نحوه بعد انقضاء الأيام الأولى .. ففي أول عهده بالدار كانا يرحبان به ترحيبا شديدا ولا ينفكان يحيطانه بأسباب التحية والاهتمام . وعلى حين فجأة كفا عن هذا السلوك وفترت حماستهما . حقيقة ، إنهما لبثا يعاملانه بما ينبغي من التحية والاحترام الواجبين نحو الرجل الذي انقذ حياة الزوج . ولكنهما لم يعودا يحفلان به كأنما نسيا أنه موجود في الدار . !

ولقد خيل إلى "كوبين" من انصرافهما عنه أنهما يعتقدان فيه شنود الطبع وجفوة الخلق والميل إلى العزلة والاعتكاف . فاحترما رغبته في الانفراد بنفسه وأبيا أن يزعجا وحدته .

واتفق مرة وهو يعبر البهو أن رأى "جرفيز" ترمي ببصرها إليه وسمعا تقول لرجلين يجالسانها :

- إنه خجول يؤثر العزلة .. !

وقال "كوبين" في نفسه : - نعم .. إنني خجول .. !

ولم تغضبه هذه العزلة لأنها أدعى إلى تحقيق أغراضه حتى لا يفسد عليه فضولي خططه ولم يعد يفكر في "أمبرت" وزوجته وغرابه أطوارهما .

ولم يعد يسأل نفسه عن البواعث التي حفزتهما إلى نسبة الخجل إليه ..

لم يرهق ذهنه بالتفكير في هذه الصغائر وأولى به أن يصرف تفكيره كله إلى الملايين المنشودة !

كانت خطته ترمي في أول الأمر إلى الركون إلى المصانفات أو ما قد تقع فيه "جرفيز" من الإهمال . على أنه ما لبث أن أدرك أن خطة هذا عمادها لا يمكن أن تسفر عن تحقيق الغاية المنشودة . وإن حققها فلن يكون ذلك إلا بعد أمد طويل . وقد عيل صبره ولم يعد في طاقته أن يتريث أكثر مما تريث . وهذه "جرفيز" حريصة على مفتاح الخزانة لا تتخلى عنه لحظة ولا تنسأ مرة على المنضدة . وما اتفق يوما أن تركت الخزانة مفتوحة على مصراعيها ليغترف منها "لوبيين" ما شاء ! واستحثته إلى التعجيل تطور جديد طرا على المسألة فقد أخذت بعض الصحف تحمل على "أمبرت" وزوجته حملة شعواء وترميها بالنصب والاحتيال والخداع . ومضت تؤكد أن الزوجين ينصبان أحبولة لخداع المقرضين والمرايين وأن السندات المزعومة لا وجود لها . والأوصية هناك تحرم على الزوجين التصرف في السندات . وكل ما في الأمر أن هذه الأقصوصة خدعة يتوسل بها الزوجان إلى اقتراض المال على حساب السندات الموهومة .. ولما اشتدت الحملة وتضاعفت وطاتها رأى "لوبيين" أن يعجل بالعمل لأنه إن تريث فقد كل شيء .

ولقد كان من عادة "لوبيين" أن يغادر الدار في الساعة السادسة من مساء كل يوم . ولكنه رغبة في الإسراع في العمل لزم المنزل خمسة أيام كاملة ، فيزعم للزوجين أنه ماض إلى داره ولكنه بدلا من هذا يتسلل إلى الغرفة المخصصة له وينبطح على الأرض وعينه على فوهة الأنبوبة يرقب ما يجري في مكتب "أمبرت" . والزوجان لا يعلمان أنه موجود .

وفي اليوم السادس وقد قنط من النجاح غادر المنزل عند منتصف الليل من الباب الخلفي .

ولما حل اليوم السابع علم أن الزوجين - اتقاء للحملات العنيفة

الموجهة ضدهما - وعدا بان يفتحا الخزانة امام رجال الصحف
والمرابين ليثبتا حسن نيتهما . وان الحملة القائمة ضدهما حملة
مغرضة اثيمة .

وقال كوين في نفسه : - إن لم انجح الليلة فلا رجاء لي بعد الليلة
في النجاح . ١

وفي ذلك المساء بعد ان فرغ الزوجان من تناول الطعام مضيا إلى
غرفة المكتب وأخرجا كتبا من الخزانة وأخذا يقلبان صحائفها .
ومرت ساعة ، وتلتها ساعة أخرى .

وسمع كوين وقع أقدام الخدم وهم ياءون إلى مخادعهم .. الآن خلا
الطابق الأول ممن فيه ودقت الساعة إيذانا بانتصاف الليل ، ومع هذا
كان الزوجان لا يزالان في غرفة المكتب منهمكين في العمل .

وتمتم كوين يحدث نفسه : - الآن .. حانت ساعة العمل !
وفتح نافذة غرفته . ونافذة الغرفة تشرف على الفناء وكان الليل
ساكنا والظلمة سائدة شاملة وقد تلبت السماء بغيوم حجبت النجوم
فلم يعد هناك بصيص من الضوء يبدي الظلمات الدامسة .

وأخرج كوين من دوابه حبلا انتشرت على طول العقد . فشده إلى
سياج الشرفة . ثم تخطى السياج وأخذ يهبط فوق الحبل في رفق
وأناة حتى بلغ النافذة الواقعة تحت نافذته . ولم تكن بطبيعة الحال
إلا نافذة المكتب وقد أسبلت الستائر فوقها .

جمد كوين عند النافذة كأنه تمثال من الحجر وأرهف أذنيه للسمع .
كان السكون شاملا .. فسرى الاطمئنان إلى قلبه . وضغط في رفق
مصرع النافذة . ولم يكن لديه شك في أن النافذة ستنتفتح مستجيبة
إلى الضغط فقد حرص في أثناء النهار على أن يسد الثقب الذي
«يببب» فيه لسان المزلاج حتى لا يتعذر عليه فتحها حين يشاء .

استجابت النافذة للضغط .. وفي حرص وحذر أخذ يواربها على
مهل . وحين تسنى له أن يتفد رأسه بين المصراعين كف عن فتحها ..
وانبعث من بين فرجتي الستار بصيص من الضوء .. ورأى «جرفيز»
وامبرت جالسين إلى جوار الخزانة .

وكان الزوجان منهمكين في عملهما لا يلتفتان إلى ما يدور حولهما .

ولا يتبادلان من الكلام إلا ما نذر . وقاس كوين المسافة التي تفصل بينه وبينهما . وقدر في ذهنه الوقت الذي يكفيه للانقضاض عليهما وصرعهما قبل أن يصرخا مستنجدين .

وحين تهيا للوثوب عليهما سمع "جرفيز" تقول :
- لقد أنهكني التعب وثقلت أجفاني فلا بد لي من أن أوي إلى فراشي فماذا تنوي أنت أن تفعل ؟

- ينبغي أن أفرغ من العمل أولاً .

- تفرغ . ! إنك إذن لن تفرغ قبل أن تشرق الشمس . !

- لا أظن أن الأمر سيستغرق مني أكثر من ساعة .

وغادرت "جرفيز" الغرفة .

وتتابعت الدقائق حتى انتظمت الثلاثين .

ودفع كوين النافذة قليلا . واهتزت الستائر .

وآدار "لادوفيك" رأسه .. وحين رأى هبات الريح تهز الستار نهض ليغلق النافذة .

ولم تنطلق من فمه صرخة واحدة .. لا ولم يقع شيء من النضال .. بضربات فنية دعامتها الدراسة العلمية صرع "كوين" "لادوفيك" .. ولكن دون أن يسبب له أذى أو يصيبه بجرح .. ثم لف رأسه في الستار وأوثق قياده فاستحال عليه بذلك أن يصرخ مستنجداً أو أن يتبين وجه المعتدي .

ثم مضى مسرعا إلى الخزانة فانتزع منها ملفين تابطهما ، وفي هدوء غادر المكتب وعبر البهو وهبط الدرج واجتاز الفناء . ثم خرج إلى الطريق من الباب الخلفي .

وفي الطريق .. كانت هناك مركبة في انتظاره .

والقى كوين إلى الحوذي بالملفين وهو يقول .

- إليك هذين أولا . ثم اتبعني .

وتسلل الرجلان إلى المكتب ثانية . وترددا بين المكتب .. والمركبة ثلاث مرات .. وفي هذه الرحلات استطاعا أن يجهزا على محتويات الخزانة وينقلا ما فيها إلى المركبة .

ثم صعد كوين إلى غرفته فطوى الحبل وحمل معه كل اثر يمكن أن

ينم عن شخصية السارق .

اخيراً .. تم له النصر .. وانتقلت ملايين "امبرت" إلى حوزة "أرسين لوبين"!!

بعد بضع ساعات من وقوع السرقة أخذ "لوبين" ومساعدته يفرغان محتويات الملفات .

ولم يستشعر "لوبين" شيئاً من الياس والقنوط . حقيقة ، إن ثروة "امبرت" لم تبلغ ما كان مرجوئاً . ولم ترتفع إلى الرقم الذي رددته الشائعات ولكنها كانت ثروة محترمة على أي الأحوال . لم تكن مائة مليون فرنك . لا ولم تكن عشرة .. ولكنها مع هذا كانت ثروة تستحق ما بذل في سبيلها من جهد ووقت . وكانت دعامتها سندات مضمونة من الطراز الأول ..

سندات قروض المجالس البلدية ، وسندات بين الحكومة ، وسندات المناجم الشمالية ، وسندات السكك الحديدية .. الخ .

وغمغم "لوبين" يقول :

- إنني مغتبط بما أصبت .. ! إنني مغتبط بما أصبت . لست أنكر أن هناك سندات .. شخصية لن أستطيع بيعها . ولست أنكر أن السندات التي لحاملها ستباع بثمن بخس .. ولكني مع ذلك مغتبط راض .. إن مئات الألوف التي ساطفر بها يمكن أن تكون بداية طيبة اتخذ منها دعاية لمشروعاتي المستقبلية !

- وبقية السندات والأوراق ؟

- أحرقها يا بني .. أحرقها فلا نفع لها لدينا .. أما السندات التي لحاملها فساحتفظ بها حتى تحين الساعة الملائمة لبيعها .
وفي الصباح لم ير "لوبين" ما يحول دون نهابه إلى بيت "امبرت" كالمألوف .

لن تتطرق الشبهات إليه ولن يرتاب أحد في أمره .
ولكن الصحف طالعته بنبا عجيب لم يكن يتوقعه . لقد هرب "امبرت" وزوجته ! وفتحت الخزانة في احترام وخشوع .. وتولى فتحها أحد القضاة منتدباً من قبل المقرضين .. ولكنها وجبت فارغة ! ! لم يترك

فيها "أرسين لويين" إلا سندات "متناثرة" لا قيمة لها . ١ .

* * *

تلك هي الوقائع الثابتة المتعلقة بملايين "أمبرت" . ١ .

ولقد قص "لويين" بنفسه هذه التفاصيل على صديقه "روبير" المحامي في مساء أحد الأيام وهو يزرع مكتبه جيئة ونهايا وعيناه تلتمعان على شكل لم يعهده "روبير" من قبل .

وقال المحامي الشاب :

- إنن فقد ظفرت بصفقة عظيمة . ١ .

فابتسم "لويين" وقال :

- لا يزال في هذا الحادث يا صديقي أسرار مستغلة غامضة لا سبيل إلى استكناه معمياتها . وعلى الرغم من الإيضاحات التي زودتك بها فإن الغموض يكتنف هذه المسألة . فمثلا : ما البواعث التي حفزت "أمبرت" وزوجته إلى الفرار ؟ لماذا لم يستغلا سطوي على الخزانة لمصلحتهما ؟ لقد أسديت إليهما بهذا السطو خدمة جليلة كان ينبغي أن يستفيدا منها .. وما كان أيسر أن يقولوا للناس وللمرابين : " لقد كانت الملايين هنا .. مودعة في هذه الخزانة أما الآن فهي ليست هنا لأنها سرقت " ، ولو أنهما قالا هذا لأمن الناس بما يقولان .

فقال المحامي مفسراً :

- لعلهما فقدوا الصواب فتصرفا تصرف الحمقى . ١ .

- هذا صحيح .. نعم .. لقد أضاع صوابهما فلم يعودا يدریان ما يصنعان . ومع ذلك فإن للمسألة تعليلا آخر .

- أي تعليل .. ؟

فابتسم "لويين" ولم يزد على أن قال :

- لا شيء .. لا شيء .. !

ولم يغب عن المحامي "روبير" أن صديقه "لويين" لم يطلعه على أسرار الملايين كلها وإنما كشف له بعضها وكتم البعض . فلم هذا التكتم ؟ ولم هذا الإيهام ؟

ولم يكن 'روبير' بالذي يجهل أن الإلحاح لن يفيد شيئا وما دام 'كوبين' قد أثار الكتمان فلن يفلح ، مهما الحف في الرجاء ، في أن ينتزع منه ما يريد أن يطوي . على أنه لم يقنط من الوصول إلى الحقيقة المستورة وراح يلقي على صاحبه طائفة من الأسئلة عليه يستطيع بها أن يثير في صاحبه رغبة في الكلام فقال :

- ألم تلتق بالزوجين بعد ذلك ؟

- نعم لم التقي بهما بعد ذلك .

- ألم يحدث في يوم من الأيام أن خالك .. شعور من العطف على هذين البائسين المتكوبين ؟

فهتف 'كوبين' في لهجة تدل على الانفعال :

- أنا !

وادهش انفعاله المحامي 'روبير' .. فهل تراه قد أصاب الهدف ؟

اتراه عرف كيف يثير من 'كوبين' مواضع الاهتمام ؟

قال 'روبير' :

- بالتأكيد ، إذ لولا تدخلك لما اضطرا إلى الفرار ، أو لهربا وجيوبهما محشوة بالمال .

- إذن فانت تتوقع مني أن يخالجنى الندم ؟ اليس كذلك ؟

- بلى .. يمكنك أن تقول هذا .

فضرب المكتب بقبضة يده في عنف وقال :

- إذن فانت ترى أنه كان ينبغي أن اندم !

- يمكنك أن تسميه ندمًا أو أسفا ، أو شعورا من هذا القبيل !

- وهل يستحق هذان الشقيان شعورا من هذا القبيل ؟

- لا تنس أنك سلبت هذين البائسين ثروة كبيرة ..

- أية ثروة .. ؟

- بالتأكيد السندات التي سرقها من الخزانة ..

- سندات .. ! السندات التي سرقها من الخزانة .. ! إذن فقد سرت

أنا السندات من خزانتهما .. ! حصتهما من الإرث .. أهذا ما تعتقد

اني فعلت .. ؟ هذه جريمتي في رايك .. ؟ يا إلهي .. ! ألم تترك بعد يا صديقي ان هذه السندات كانت مزورة .. ! اسمعت ما أقول .. ؟ هذه السندات كانت مزورة .. مقلدة .. ! مزيفة .. !!

فأرسل "روبير" إلى صديقه "لوبين" نظرة تنطوي على الدهش وقال :
- ماذا تقول ؟ .. أكانت هذه الملايين مزورة .. ؟
فصاح "لوبين" في غضب :

- نعم مزورة .. ! كلها مزورة .. ! كلها مزورة .. سندات دين الحكومة .. سندات قروض المجالس البلدية .. سندات السكك الحديدية .. كلها مزورة .. كلها لا تساوي ثمن الورق الذي طبعت عليه .. كلها لا تساوي فرنكا واحدا .. ! نعم .. لا تساوي فرنكا واحدا .. ! لقد خدعني اللسان .. ! لسان حقيران وضيعان يخدعان "أرسين لوبين" العظيم .. ! وقد انخدعت كما ينخدع أي مغفل لا يفهم .. !

واخذ بدنه يهتز ويرتعد غضبا وقد نمت نظراته عن الانفعال الشديد .. كان ثائرا مهتاجا .. من أجل كرامته المهترئة !

- لقد خدعاني يا صديقي من البداية حتى النهاية .. ! نعم .. من البداية حتى النهاية اتخذنا مني العوبة يلهوان بها ويسخران منها .. ! لقد اتخذنا مني جسراً يصلان بواسطته إلى تحقيق أغراضهما .. ! ألم تدرك بعد أي دور أديت في هذا الحادث .. ؟ لقد زعم الشقيان أنني "أنثرو راوفورد" .. ! نعم .. يا صديقي . وقد وقعت في الفخ المنصوب .. ولم تنكشف لي الحقيقة دون شك إلا بعد فرارهما حين اطلعت على الصحف .

كنت اعتقد اني انزل في دارهما بصفتي منقذ الزوج من الاعتداء الذي وقع على حياته .. ! والواقع انهما مضيا يذيعان أنني "راوفورد" .. ! ليست خدعة بديعة .. ! والواقع انهما مضيا يذيعان أنني "راوفورد" .. ! أنا الوريث الثاني الذي ينازعهما الإرث وينثر العقبات في سبيل استيلائهما على السندات وتصرفهما فيها .. ! هذا الشاب المقيم في الطابق الثاني .. هذا الشاب الخجول

الذي يؤثر العزلة .. ! هذا الشاب إنما هو "أندرو راوفورد" .. !
هكذا أخذوا يزعمان للمرابين والمقرضين . ! وحين عبرت البهو
وسمعت "جرفيز" تقول : إنني خجول مولع بالاعتكاف إنما كانت
تحدث عني بصفتي "راوفورد" .. ! وكانت تتحدث إلى اثنين من
المرابين .. وأمام هذا الادعاء اطمأن المرابون ... واطمأنت البنوك ..
واطمأن المقرضون أن "راوفورد" يقيم معهما في بيت واحد ... إذن فقد
أن للنزاع أن ينتهي .

إذن فقد بنت ساعة فتح الخزانة ... إذن فقد حان الوقت للتصرف في
السندات الحبيسة

إذن فقد بنت ساعة فتح الخزانة ... إذن فقد حان الوقت للتصرف في
السندات الحبيسة .. ! عند هذا اطمأن المقرضون وسخت أيديهم من
جديد وراحوا يقرضون "أمبرت" وزوجته ... وكل هذا باسمي .. ! كل
هذا ظنا منهم أنني حقيقة "راوفورد" وأن الصلح تم بيني وبين "أمبرت"
وزوجته .. ! وكل هذا وأنا غافل لا أدري شيئا عن الشباك التي تحاك
حولي .. ! "أرسين لوبين" الذي ينصب الفخاخ ويوقع فيها أذكى الناس
قد وقع بدوره في فخ نصبه له غيبان لا يفهمان .. إنه درس لن ينسى .
ثم أمسك بغتة عن الكلام . وأخذ بنزاع صديقه وارتسمت على
شفتيه ابتسامة خفيفة .. ابتسامة هي مزيج من الألم والسخرية .
وقال :

- هل تعلم يا صديقي أن "جرفيز أمبرت" مدينة لي الآن بمائتي
فرنك؟

وما سمع "روبير" هذه الجملة حتى انفجر يضحك ... لم يستطع أن
يحبس الضحكات أمام هذا الموقف العجيب . !
ولم يغضب "لوبين" وإنما أخذ يضحك بدوره وقال :

- نعم .. إنها مدينة لي بمائتي فرنك . ! لم تكتف اللعينة بعدم
إعطائي مرتبي وإنما اقترضت مني مائتي فرنك . ! نكتة جميلة . !!
جاء "لوبين" يسرق فسرق .. ! جاء يخدع فخدع .. ! جاء ينصب ويحتال

فكان الضحية .. ! اضحك معي يا صديقي .. ! "لوبين" العظيم .. "لوبين"
الذي هذا بـ"جانيمار" .. وعبيث بـ"شرلوك هولمز" .. ولعب بـ"بيشو" ..
"لوبين" يذهب ضحية رجل وزوجته تنم ملامحهما عن الغباوة .. ! تلك
اول مرة اسرق فيها .. اول مرة اخدع .. ولكنها الخدعة الكبرى .. !
ومحال ان انساها .. ! ولكنها كانت درسا عظيما .. درسا دفعت اجرا
له الملايين التي لم اجد لها اثرا .. والمائتي فرنك .. !

الفصل الثاني

اللغز

اخذ المحامي "روبير" يستعيد إلى ذاكرته حادث الخدعة الكبرى التي جازت على "لوبين" ، وكيف استطاع "امبرت" وزوجته ان يخدعاه ويسلباه مائتي فرنك وهو الرجل الذي قضى حياته كلها يسلب الناس اموالهم !

وتناول "روبير" مذكراته فدون فيها تفاصيل هذا الحادث العجيب وعقب عليها بقوله :

«وما كنت لأصدق ما وقع وما كنت لأومن بحرف واحد مما سمعت لولا ان "لوبين" نفسه هو الذي روى لي تفاصيل هذا الحادث إذ عهدي به يمتاز بذكاء خارق يسمو حتى يبلغ درجة المعجزة . وفي هذا ليل على ان الذهن البشري يركد في بعض الاحيان وتأخذه فترة يقصر فيها دون العمل .

ولقد دونت مذكراتي من قبل بعض وقائع "لوبين" التي ابدى فيها من سرعة البديهة وحدة الذكاء وتوقد الذهن ما ادهش المطلعين وانهلهم . وهانذا اسجل واقعة جديدة هي في ذاتها لغز معقد لا سبيل إلى جلاء غوامضه وإزاحة ما يكتنفه من استار الظلام لولا ان جاء "لوبين" فكشف عن اللغز حجه وبدد إبهامه .

كنت في مكتبي ذات يوم فإذا بالباب يفتح وسمعت صوتا يقول :

- تلقيت برقيتك فحضرت . فماذا هناك . !

وكان المتكلم يرتدي ثيابا داكنة اللون وفوق راسه قبعة عريضة الحافة ، وفي عروة سترته شريط احمر . اما شاربه فقد وخطه المشيب..!

ولولا اني كنت اترقب قدوم "لوبين" ما بين لحظة واخرى لاستحال علي ان اتبين صديقي العزيز في هذا الرجل المسن المتداعي الاوصال .

وقلت مسروراً :

- ماذا هناك ؟ شيء خطير دون شك .. مجرد مصاففة ليس إلا ولما كنت اعلم ولعلك بحل الطلاسم وفك المعميات فقد ...

فقاطعني "لوبيين" بقوله :

- وبعد ؟

- يلوح لي أنك على عجل من أمرك .

- هو ذاك .. إلا إذا بدا لي أن لغزك جدير باهتمامي .. فهيا حدثني بما لديك ولا تضيع الوقت في السفساف .

- حسناً .. وسابداً بأن اطلب إليك أن تلقي نظرة على هذه الصورة التي ابتعتها منذ أسبوع أو أسبوعين من حانوت عتيق لبيع التحف والعاديات القديمة، والصورة كما ترى حقيرة لا تستحق شيئاً من الاحتفال ولكني ابتعتها لأجل إطارها الذي يرجع تاريخه إلى عهد الإمبراطورية وما فيه من نقوش جميلة تسترعي الإبصار .

فلما فرغ "لوبيين" من فحص الصورة قال مؤمناً :

- إنها كما تقول صورة حقيرة تافهة ، ولكن موضوعها طريف جميل .. انظر إلى .. ركن الفناء .. والعمد الإغريقية .. والمزولة الشمسية والبحيرة الصغيرة .. والمقاعد الحجرية .. والدرج الرخامي .. وهذه الخرائب المتناثرة .. كل هذا فائن ساحر .. ولو أن ريشة مصور عبقرى هي التي جرت بهذا المنظر لكان تحفة نادرة . !

فقلت :

- مهما يكن من أمر الصورة ، فإنها لم تنزع من إطارها الإمبراطوري فضلاً عن ذلك فهي مؤرخة .. انظر إلى الركن الأيسر السفلي .. هذه الأرقام الحمراء .. إنها ١٥ - ٤ - ٢ أي ما معناه ١٥ أبريل سنة ١٨٠٢ ..

- معقول .. معقول .. ولكنك أشرت في حديثك إلى المصادفات . فاين هي هذه المصادفات التي تتحدث عنها ؟

فذهبت إلى ركن الغرفة وأتيت بتلكسكوب ثبتته على مقربة من النافذة وسددت منظاره إلى نافذة مفتوحة في تلك الغرفة الصغيرة المقابلة لمكتبتي هي تقع في التاجية الأخرى من الطريق .. وطلبت إلى "لوبيين" أن ينتظر من خلاله .

تقدم "لوبيين" من المنظار والصق عينه بفوهته .

وكانت أشعة الشمس ترسل فيضاً من نورها إلى الغرفة المقابلة يكشف منها خباياها . ويبدى للعين أثارها العادي المؤلف من بضعة

مقاعد وفراشين احدهما كبير والثاني لطفل .

وهتف "لوبيين" فجأة يقول :

- أه نفس الصورة !

- نعم نفس الصورة ..! ونفس التاريخ ..! هل استطعت ان تقرا

التاريخ المكتوب باللون الاحمر ١٥ - ٤ - ٢

- نعم قراته .. ومن الذي يقطن هذه الغرفة ؟

- سيدة .. او بعبارة اخرى عاملة . لانها مضطرة إلى العمل في

سبيل لقمة العيش .

إنها تشغل بالتطريز ولا تكاد تصيب من المال ما يقوم باوبها واود
طفلا .

- ما اسمها ؟

- "لوبيز درنمونت" . وقد قيل لي : إنها حفيدة احد القواد الذين

ظهروا في الأرياف على عهد الثورة . وقد ارسل إلى المقصلة في زمن
الإرهاب .

فقال "لوبيين" :

- نعم .. في نفس الوقت الذي اعدم فيه "اندرية شنييه" .. ولو انك

درست المنكرات التي كتبها رجال ذلك العهد لعرفت منها ان "درنمونت"
هذا كان من كبار الأغنياء .

ثم رفع عينه عن المنظار وقال :

- إنها حكاية مسلية لذيدة .. ولماذا كتبت عني الامر حتى اليوم ؟

فقلت مجيبا :

- لأن اليوم يوافق ١٥ ابريل .

- واي شيء في هذا ؟

- لقد عرفت بالأمس ان ليوم ١٥ ابريل شانا خطيراً في حياة "لوبيز

درنمونت" . بهذا سمعت البواب يتحدث مع نفر من اصحابه .

- هراء ! كلام فارغ !

- من عادة هذه المرأة ان تشغل كل يوم لا تتخلف عن عملها يوما

واحداً . تطهو طعامها بنفسها بمجرد عودتها من عملها . وتنسق

مسكنها وتكنسه . إنها تعيش عيشة منظمة . ولكن إذا ما حل يوم ١٥

أبريل نكثت كل عاداتها وغايرتها ، فإذا بها تخرج مع ابنتها الصغيرة في الساعة العاشرة صباحا ولا تعودان إلا عند منتصف الليل . ولقد وقع هذا عاما بعد عام ، أعواما كثيرة متصلة . فلا مفر لنا من الاعتراف بأن هناك شيئا غريبا يتصل بهذا التاريخ المدون في ركن الصورة التي لدينا . والذي دون أيضا في ركن صورة أخرى مطابقة تماما للصورة التي معنا .

فقال "لوبيين" في كلمات بطيئة :

- نعم .. إن الأمر يبدو غريبا . ! إنك على حق فيما ذهبت إليه .

ثم أردف يقول :

- ولكن ألم تصارح "لوييز برنمونت" أحداً بالمكان الذي تختلف إليه

في هذا التاريخ ؟ .

- نعم لم تصارح أحداً .. فهي امرأة قليلة الكلام ميالة إلى العزلة

والاعتكاف . - أموقن أنت من صحة هذه البيانات التي أفضيت بها

إلي . ؟

- كل اليقين .. وسترى الآن بعينيك مصداق قلبي . انظر .

وفتح باب في صدر الغرفة المقابلة دخلت منه طفلة في السابعة أو

الثامنة من عمرها وأقبلت على النافذة تطل منها على الطريق . وإن

هي إلا لحظات حتى لحقت بها سيدة وسيمة الوجه ترتدي ثيابا

سوداء عادية تدل على سلامة الذوق وتطالعك ملامحها بالبرقة

والوداعة .

وهمست أقول :

- أرايت ؟ إنهما متهيئتان للخروج .

وأخذت الأم بزعاع الطفلة وزايلت الغرفة . وتناول "لوبيين" قبعته وهو

يقول :

- ألا تحب أن ترافقني . ؟

وكان الفضول قد اشتد بي وبلغ مني درجة حالت دوني والاعتراض

فتناولت قبعتي بدوري وتبعته "لوبيين" .

ولما خرجنا إلى الطريق رايت جارتي تدخل حانوتا لبيع الخبز

فابتاعت رغيفين ستهما في سلة صغيرة تحملها ابنتها ويلوح أنها

كانت عامرة فعلا بشيء من المثلثة . ثم انطلقنا صوب الضواحي وعرجنا إلى ميدان النجمة ، ثم أخذنا تسيران في شارع (كليب) متجهتين إلى (باسي) .

سار كولين في إثر المرأة وهو غارق في الصمت لا ينبس بكلمة واحدة . وكان جليا أن الخواطر قد استغرقتة . وقد سرنى أني كنت سببا في شحذ ذهنه وإثارة انتباهه وكنت أسمعه ما بين وقت وآخر يردد من الكلمات ما تبينت منها أن اللغز لا يزال عنده غامضا مستغلقا .

وعرجت لويز برنمونت إلى اليسار ومشت في شارع "رانوارد" وهو طريق هادئ تقوم على جانبيه بيوت من طراز عتيق قد ألحقت بكل منها حديقة صغيرة حتى لكان المرء في قلب الريف . وكان نهر (السين) يجري في محاذاة الطريق ، والأزقة والحواري الضيقة تتفرع من الشارع متجهة إلى النهر .

وانعطفت جارتني إلى إحدى تلك الحواري الضيقة التي تنعدم فيها أقدام السابلة . وكان أول بيت يقع إلى اليمين يشرف على شارع (رانوارد) وتلاه جدار مرتفع تعلوه الأعشاب والنباتات المتسلقة .

وفي منتصف هذا الجدار باب منخفض وقفت عنده لويز برنمونت وفتحته بمفتاح بدا ضخما كبير الحجم . ومال إلى كولين يقول :

- مهما يكن من الأمر . فإن عملها بعيد عن الريب والشبهات لأنها لم تلتفت وراءها مرة واحدة . فلو أنها كانت تعلم أنها مقبلة على عمل ائيم لاستراحت وتلفتت حولها متوجسة .

وما إن فرغ من حديثه حتى سمعنا خلفنا وقع أقدام ، وراينا شحانين عجوزين - رجلا وامراة - في ثياب بالية مهلهلة تعلوها القذارة ، وتكاد لكثرة تمزقها وخروقتها تكشف بدينهما . وتابع الشحاذان طريقهما دون أن يلقيا إلينا نظرة واحدة . وأخرج الرجل من جيبه مفتاحا ضخما شبيها بمفتاح جارتني ودسه في الثقب وإن هي إلا لحظات حتى توارى مع زميلته وراء الباب .

وفجأة بدا في أذاننا دوي سيارة عند رأس الحارة . فجنبنى كولين

من نراعي وسرنا مسرعين حتى بلغنا ركنا استطعنا ان نتواري فيه
فئري دون ان يظن إلى وجوبنا احد .

وبعد قليل رأينا فتاة مقبلة من اقصى الحارة وقد ضمت إلى
صدرها كلبا صغيرا . وكانت ترتدي ثيابا انيقة فاخرة وتزين
صدرها .. ومعصمها الحلي والجواهر . وكان شعرها اشقر وعيناها
سوداوين . وما جرى من قبل جرى الآن .. اخرجت من حقيبتها مفتاحا
ضخما دسته في ثقب الباب . ثم دخلت واغلقت خلفها .
قال "لوبيين" وهو يضحك :

- إن اللغز يبشر بما يثير الاهتمام ! واغلب ظني انه سيتكشف عن
اعجب العجائب . ! ليت شعري اية صلة تجمع بين هؤلاء القوم
المختلفي الطبقات المتبايني الاشكال . ؟ امرأة فقيرة تكذ وتكدح في
سبيل لقمة العيش .. وشحاذان يستجديان الناس ما يسد جوعهما ..
وامرأة متأنقة على حظ من الثراء . !

وبعد ذلك رأينا امرأتين طاعنتين في السن والشبه بينهما شديد
حتى لكانهما اختان ، ومظاهر الفاقة باية عليهما ، وتلاهما خادم في
ثيابه الرسمية الموشاة . ثم جندي مبتور الساق . ثم رجل بدين الجسم
يرتدي سترة عتيقة ، واخيرا رأينا اسرة باكملها . الأب والأم وأربعة
اطفال وكانوا جميعا شاحبي الوجوه هزيلی الابدان يتابط كل منهم
سلة صغيرة ملأى بطعامه .
فقلت مغمغا :

- كاننا إزاء نزهة . !

فابتسم "لوبيين" وقال :

- إن الامر يبدو في الواقع مدهشا مثيرا .. ! ولن يهدأ لي بال حتى
اتبين ما يجري خلف هذا الجدار . !

ولم يكن هناك خفاء في ان تسلق الجدار اننى إلى الاستحالة
لارتفاعه . ومما يؤسف له انه لم يكن للمنزليين المجاورين للجدار نوافذ
تطل على الساحة الواقعة وراء الجدار .

وفي خلال الساعة التالية لم يحضر احد من جديد . ومضيت و
"لوبيين" نتدبر الامر ونقدح ذهنينا بغية ان بتفتقا عن خطة تهبيء لنا

سبيلا إلى الدخول . وبعد أن استعرضنا جميع الوسائل لم ير "لوبين" مندوحة من أن يسعى إلى أحد الحوانيت القريبة فيبتاع سلما وقبل أن ينصرف فتح الباب ويرز منه أحد اطفال العامل الفقير الذي كان آخر من جاء مع أسرته .

وانطلق الغلام مسرعا صوب شارع (رانوارد) ثم عاد بعد دقائق يحمل زجاجتين مملوءتين بالماء وضعهما على الإفريز ريما يخرج المفتاح من جيبه .

وكان "لوبين" في خلال هذا قد زایلني وسار في محاذاة الجدار حتى صار على قيد خطوة من الباب . فلما دخل الغلام وهم بإغلاقه وثب "لوبين" في حركة سريعة فدس نصل مبراته في الثقب الذي يستقر فيه لسان القفل . فدار جهاز القفل على نفسه ولم يلج اللسان موضعه المألوف ، ولم يكن أهون إذ ذاك من دفع الباب والدخول . وقال "لوبين" :

- لقد نجحت الخدعة .. !

ودفع "لوبين" الباب في حرص وحذر .. ثم لم يلبث أن دخل في جراحة نادرة أذهلتني . ولكن حين اقتفيت خطواته رايت خلف الجدار وفي محاذاته تماما سياجا من الأعشاب النامية والشجيرات حجبنا عن في الداخل فلم يرونا ونحن نقترح عليهم المكان .

وتوارى "لوبين" وراء الشجيرات . وحذوت حذوه فوقفت إلى جواره ثم أزحت الأغصان قليلا حتى يتسنى لي أن أرى ما يجري هناك ولقد أذهلني ما رايت إلى درجة لم أتمالك .. معها نفسي من أن اطلق من صصري أهة تنطوي على الدهشة والاستغراب . أما "لوبين" فتمتم يقول:

- يا إلهي .. إنه لغز محير ولذيذ .. ! راينا في الساحة الواقعة خلف الجدار نفس المنظر الذي رايناه من قبل في تلك الصورة العتيقة التي ابتعتها من حانوت التحف والعاديات .. ! نعم .. نفس المنظر .. حتى لكان الصورة انقلبت مشهدا حيا .. !

على أن الشيء الذي ضاعف من استغرابنا إنما هو ذلك التاريخ المدون في ركن من الصورة .. يا إلهي .. ١٥١ أبريل .. ! ما معنى ذلك

واي سر ينطوي تحت هذا التاريخ .. ؟ واليوم يوافق نفس هذا التاريخ .. ! هؤلاء المجتمعون .. ! إنهم يختلفون اختلافا بينا .. فمنهم الكهل ومنهم الشاب .. ! منهم الثري ومنهم الفقير .. ! منهم المثقف المهنذب ومنهم الجاهل الذي لم يتلق من العلم حظا .. ! ومع ذلك جمع بينهم ١٥ أبريل فحفوا جميعا إلى هذا المكان من أركان باريس وأقاصيها .. !

وكان القوم في هذه اللحظة متناثرين على الدرج الرخامي وعلى المقاعد الحجرية وهم منهمكون في تناول الطعام . وعلى مقربة من جدارتي وابنتها رايت أسرة العامل والشحانين ياكلون معا . على حين اجتمع الخادم والرجل البدين والجندي والاختان يتقاسمون معا ما اتوا به من طعام . أما السيدة ذات الكلب - وكانت لم تات معها بشيء من الطعام - فاعتزلت الجمع وجلست في ركن قصي وأولاهما الحاضرون ظهورهم كأنما يرمون إلى إعلان نفورهم منها . وتحولت "لويز درنمونت" إلى السيدة وقدمت لها قطعة من السندوتش فحذت الاختان حنوها . ولم يلبث الجندي المبتور الساق أن اخذ بدوره يتوود إليها .

وبلغت الساعة منتصف الثانية بعد الظهر ، فاخرج الشحاذ غليونه من جيبه ، وكذلك فعل السيد البدين . ولم يكن مع الثاني عود من النقاب فجمعت بينهما الحاجات المشتركة ووفقا يديخان وقد اجتمعت حولهما النساء . وكان جليا أن أفراد هذه الجماعة على اختلاف مشاربهم وطبقاتهم يعرف بعضهم بعضا معرفة وثيقة . ولقد كانوا منا على مسافة غير قصيرة فتعذر علينا أن نسترق السمع لما يدور بينهم من أحاديث ، على أننا ما لبثنا أن اتركنا أن لهجة الحديث اشتدت وقويت . وكانت صاحبة الكلب أشد القوم حماسة فقد انطلقت تتحدث في لهجة حادة وهي تؤيد كلماتها بإشارات عنيفة من يديها جعلت الكلب ينبج بشدة .

وفجأة تعالت الصرخات وأعقبها صيحات الغضب واندفع الحاضرون جميعا - رجالا ونساء - صوب البئر القائمة في ركن الحديقة . وفي هذه اللحظة كان أحد أبناء العامل قد بدا يخرج من

البئر وهو مشدود إلى الحبل وإخوته يجذبونه إلى الخارج بإدارة محرك الدلو .

وكان الجندي أسرع الحاضرين حركة فانقض على الفتى وعاوناه في ذلك الخادم والرجل البدين إذ أمسكوا جميعا بتلابيبه . على حين وثب الشحاذان والأختان على العامل وأفراد أسرته وأخنوا ينهالون عليهم ضربا .

قلت وقد استولت علي حيرة شديدة :

- لا ريب أنهم مجانين .. !

فهز كوبيّن رأسه وقال :

- ليس في الأمر شيء من الجنون يا صديقي .. !

- ماذا تقول .. ؟ اتعني أن في وسعك أن تقع على تفسير لهذا المشهد

العجيب الذي تراه .. ؟

ولبت كوبيّن صامتا لا يجيب عن سؤالي .

وحملت السيدة كلبها وانطلقت تجري في إثر الغلام ذي القميص المهلهل وهو يجري أمامها مطلقا من صدره صرخات مدوية . ودار الغلام حول الشجيرات التي نختبئ في وسطها . ثم ألقى بنفسه بين نراعي أمه .

وكانت كويّز برنمونت قد اعتزلت هذا العراك منذ البداية فلما رأت أن الأمر قد اشتد تدخلت واستطاعت أن تهدئ من ثورة الغاضبين فارتدوا إلى مجالسهم ثانية . وإن كانت وجوههم ناطقة بما عراهم من أثر هذه المشاحنة فجلسوا صامتين لا ينبسون بكلمة وقد تجهمت منهم الوجوه .

وأخذت الساعات تتتابع . وأحسست جوعا شديدا ، فمضيت إلى شارع (رانوارد) وابتعت شيئا من الطعام تقاسمته مع كوبيّن ونحن منزويان في مكاننا خلف الشجيرات نرقب هذه المشاهد العجيبة التي تترى تحت أبصارنا .

وكان القوم لا يزالون على صمتهم ووجومهم . وكلما مر الوقت اشتت بهم الكابة واستغرقتهم الخواطر ولاح كانما يرهق أذهانهم ونفوسهم وقر ثقيل .

وانقضت ساعات ما بعد الظهر على هذا النحو . وقد تناثرت السحب في صفحة السماء فارسلت إلى المكان ضوءا خافتا تشويه الدكنة فاتفق ذلك وما يعلو وجوه القوم من كمد واكتئاب .

وتحولت إلى "لوبيين" وقلت له في صوت تخالطه نبرة من السامة :

- افني نيتهم أن يمضوا الليل في مكانهم هذا ؟ .

ولكن عندما شارفت الساعة الخامسة مساء أخرج السيد البدين ساعته وجعل ينظر إليها متلهفا . وكذلك فعل الآخرون وأمارات القلق بادية في ثنايا وجوههم كأنما يترقبون وقوع حدث له عندهم شأن عظيم .

ولكن الحدث الذي كانوا يترقبونه لم يقع . ! فبعد ربع الساعة أو ثلثها ردوا ساعاتهم إلى جيوبهم . وبدأت مظاهر اليأس والقنوط على وجه السيد البدين . ثم انبعث واقفا وارتنى قبعته .

وإذ ذاك جئت الأختان وزوجة العامل وأخذن يرسمن علامة الصليب على صدورهن . أما السيدة صاحبة الكلب فاقبلت على المرأة المستجدية وجعلت تقبلها وهما تبكيان . على حين أخذت "لوبيز" رنمونت" تضم ابنتها إلى صدرها في توجع وتأثر .

وقال "لوبيين" :

- هيا بنا ننصرف .

- أعتقد أنه لم يعد هناك ما يدعونا للبقاء .. ؟

- نعم والوقت لا يكاد يتسع لخروجنا وإلا لفطنوا لوجودنا .

وزايلنا مخبانا دون أن يرانا أحد . وعند رأس الحارة تركني "لوبيين" ودخل أول منزل في شارع (رانوارد) .

وبعد حديث قصير مع البواب رجع إلي فاستدعينا إحدى سيارات الأجرة وسمعتة يقول للسائق :

- ٣٤ شارع (دي تورين)

ويشغل الطابق الأرضي من المنزل رقم ٣٤ بشارع (دي تورين) مسجل يدعى الأستاذ "فالاندييه" استقبلنا مرحبا بوجه باش .

وقدم إليه "لوبيين" نفسه منتحلا اسم الكابتن "جينيوت" من رجال الجيش القدياء . وأنباه أنه يرغب في أن يبيتني لنفسه بيتا في مكان

هادئ . وان بعض اصدقائه ذكروا له ان هناك قطعة من الأرض تلائمه
واقعة في شارع (رانوارد) ويقوم حولها سياج مرتفع من البناء .
فقال الأستاذ "فالاندييه" :

- ولكن هذه القطعة غير معروضة للبيع .

- حقا ؟ لقد قيل لي إن ..

فقال المسجل مقاطعا :

- أخشى يا سيدي ان تكون المعلومات التي لديك غير صحيحة .

وزايل المحامي مقعده . ففتح دولا با في ركن الغرفة وأخرج منه
صورة عرضها علينا . وما وقع بصري عليها حتى اخذتني الدهشة ..
مماثلة تماما للصورة التي ابتعتها من حانوت التحف والعايات !
ومماثلة للصورة التي رايتها معلقة في غرفة "كوز درنمونت" .

وقال المحامي :

- هذه الصورة تمثل قطعة الأرض التي نحن في صديدها . وهي

معروفة باسم "حظيرة درنمونت" .

- تماما .

استطرت المسجل يقول :

- ولقد كانت هذه الحظيرة فيما مضى شطرا من حديقة كبيرة
يملكها الجنرال "درنمونت" الذي أعدم في عهد الإرهاب . وقد باع الورثة
املاكه قطعة بعد قطعة كلما الحت عليهم حاجات الحياة . فلم تبق إلا
هذه الحظيرة واعتقد أنها ستبقى دائما ملكا مشتركا بينهم .. إلا إذا ..

وامسك المسجل عن الحديث وأخذ يضحك . ثم استطرد يقول :

- إنها قصة خيالية ! نعم قصة خيالية شائقة ! ولطالما سليت
نفسي بتقليب النظر في الوثائق والمستندات المتعلقة بهذا الحادث .

- ايكون فضولا مني ان اسالك شيئا من الشرح والإيضاح ؟

- لا .. لا ..

ولاح على الأستاذ "فالاندييه" انه على النقيض .. مبتهج بان يقع على

من ينصت إلى قصته .

وبغير إلحاح منا او إلحاف أخذ يروي لنا القصة قائلا :

- في مستهل عهد الثورة زعم "كويس اجريبا درنمونت" انه ماض

إلى جنيف ليلحق بزوجته وابنته "بولين" . فأغلق منزله في ضاحية (سانت جرمين) وطرد خدمه . ثم رحل مع ابنه "شارل" . ولكنه لم يسافر إلى جنيف وإنما أقام في (باسي) في المنزل الذي كان يتخذة للهو . . ولم يدر بالأمر أحد إلا امرأة عجوز مخلصة كانت تتولى الإشراف على شؤون سيدها .

ولبت كويس برنمونت في مخبئه ثلاث سنوات كاملة وقد ايقن انه لن يكتشف سره أحد ، إلى أن كان يوم - وهو يصيب غفوة بعد الغداء - دخلت عليه الخادمة العجوز مروعة فزعة . لقد رأت عند رأس الباب شرزمة من الجند يلوح انهم يقصدون الدار . فهب كويس برنمونت مسرعا . وفي اللحظة التي طرق فيها الجند الباب كان قد تسلسل من الباب المفضي إلى الحديقة وهو يصيح بابنه "شارل" أن يشغل الجنود بالحديث ولو خمس دقائق . ولعله كان ينوي الفرار عن طريق الحديقة فالفى الشارع المتاخم لها مراقباً محاصراً . ومهما يكن من الأمر فقد رجع بعد ست أو سبع دقائق . وأجاب في هدوء تام عن الأسئلة التي وجهت إليه . ولم يبد شيئاً من المقاومة حين طلب إليه الجنود أن يرافقهم . وقد اعتقل الجند ابنه "شارل" أيضاً على الرغم من أنه لم يتجاوز الثامنة عشرة .

وقال كوين "متسائلاً :

- ومتى كان هذا ؟ .

- في اليوم الخامس عشر من شهر أبريل .. يا إلهي .. ! اليوم هو نكرى اعتقال القائد . !

وقال كوين :

- مصاففة غريبة ! وبطبيعة الحال ترتبت أمور خطيرة على هذا الاعتقال ؟ .

- نعم .. فبعد ثلاث أشهر أطاحت المقصلة برأس الجنرال العجوز وصورت أملكه كلها . أما ابنه "شارل" فبقي بين جدران السجون منسيا لا ينكره أحد .

- وهل كانت الأملاك كثيرة ؟ .

فابتسم المحامي وقال :

- هذا هو السؤال المربك المحير .. ! نعم .. كانت الاملاك كثيرة متشعبة ، ومع ذلك لم يدر احد لها مكانا واستحال الاهتداء إلى مواقعها . ولقد اتضح ان القائد العجوز باع جميع املاكه وجواهره وصوره الثمينة قبل الثورة إلى رجل انجليزي ، فاين امواله إذن ؟
اين الثمن الذي بيعت به هذه الاملاك والمقتنيات ؟ لقد امرت حكومة الإرهاب بإجراء تحقيق دقيق شامل ولكنه لم يسفر عن شيء .
فقال كوبين :

- ولكن بقي مع هذا بيت (باسي) ؟

- لقد بيع أيضا .. وكان الذي اشتراه هو المواطن "بروكيه" . اي نفس الرجل الذي تولى القبض على الجنرال "ترنمونت" ، واشتراه بثمن بخس لا ينكر .. وحين صار البيت إلى حوزته انزوى فيه واغلق على نفسه الابواب والنوافذ .. فلما اطلق سراح "شارل ترنمونت" وذهب إلى مقابلة المواطن "بروكيه" بغية استرداد البيت الذي بيع بثمن يجعل الصفقة اننى إلى الاغتصاب، لقيه "بروكيه" بإطلاق النار عليه فقاضاه الشاب أمام المحاكم ، ولكن دعاويه رفضت كلها ، واستحال عليه استرداد الدار ، فلما أدركه اليأس من هذه الناحية حاول ان يسترد البيت بشرائه ، من "بروكيه" فعرض عليه مبالغ ضخمة ولكن بلا جدوى ، فقد أصر "بروكيه" على الاحتفاظ بالبيت ، وما كان ليتخلى عنه لولا ان تدخل الإمبراطور "نابليون" في الامر ، فاضطر إلى الجلاء عن الدار وهو كاره في يوم ١٢ فبراير من عام ١٨٠٣ وقد اشتد الفرح بـ "شارل" بعد ان كابد في سبيل استرداده ما كابد .. توسل بالحسنى فلم يفلح .. وبالمال ولم يفلح .. وبالمقاضاة ولم يفلح .. واخيراً تم له النصر . ! ولكنه كان نصرأً قصيراً .. فحين بلغ الدار .. وقبل ان يتخطى عتبة طغى عليه الفرح ، فاخذ يغني ويرقص ويضحك . ! لقد جن المسكين واصابه الخبال . !

فقال كوبين :

- حقا .. ! وما صار إليه امره بعد هذا ؟ ..

- تكفلت بامرته الخادمة العجوز التي كانت تشرف على شؤون ابيه . فضمته إليها واقامت معه في بيت (باسي) . وذلك ان امه واخته

"بولين" كانتا قد توفيتا في جنيف .. واخذت الاعوام تتتابع دون أن يجد أي حادث إلى أن كانت سنة ١٨١٢ فوقع فيها امر عجيب . وذلك أن الخادمة العجوز اشرفت على الموت فاستدعت شاهدين إلى فراشها وقصت عليهما وهي تحتضر أن القائد الشيخ احضر إلى بيته في (باسي) قبل اعتقاله بأيام قليلة من الحقائق المملوءة بالذهب والفضة ولقد قص عليها الابن "شارل" أن أباه أخفى الحقائق في الحديقة في مكان خفي بين البئر والمزولة الشمسية والدرج . وتدعيما لقولها ارت الشاهدين ثلاث لوحات رسمها القائد الشيخ بنفسه أثناء اعتقاله واستطاع أن يرسلها سراً إلى الخادمة طالبا منها أن تعطي إحدى هذه اللوحات لزوجته والأخرى لابنته "بولين" والثالثة لابنه "شارل" عند الإفراج عنه .. ولكن العجوز و"شارل" كتما الأمر وقد استهوتهما الثروة المنتظرة . فلما جن "شارل" أخذت العجوز تبحث وحدها عن الكنز فأخطأها التوفيق فلم تر مندوحة من الإفشاء بما تعلم . وهكذا لا يزال الكنز في مخبئه في الحديقة .

فضحك "توبين" وقال :

- وما زال حتى اليوم بالتاكيد ؟ .

فقال الأستاذ "فلاندييه" :

- وسيظل هناك حتى الأبد .. إلا إذا كان المواطن "بروكيه" قد استطاع أن يهتدي إلى الكنز في أثناء بحثه وتنقيب . إذ لا ريب في أنه شعر بما هنالك وإلا لما اشترى البيت ولما اصر على الاحتفاظ به ولكنني اعتقد أن التوفيق أخطاه أيضا إذ المعروف أنه مات على فقر مدقع .

- وإن ؟ .

- وإن فقد أخذ الجميع يسعون إلى الكنز . كانت "بولين" قد رزقت أولادا قبل موتها فجاءوا يبحثون .. وكان "شارل" قد تزوج سرا ورزق أولادا .. وهكذا تضافر الورثة جميعا على البحث عن الكنز الخفي .

- وما كان من شأن "شارل" نفسه ؟ .

- لزم غرفته لا يبرحها ولم يشترك في هذه الأبحاث .

- مطلقا ؟ .

- تلك في الواقع هي أغرب ناحية من نواحي هذا اللغز .. لزم "شارل"

غرفته لا يبرحها إلا مرة في كل عام .. يغادر مسكنه كأنما تدفعه قوة خفية لا تزال لها سيطرة على عقله المختبل . فيهبط إلى الحديقة ويتخذ نفس الطريق الذي سار فيه أبوه والجند يطرقون الباب على عهد الثورة . ثم يجلس على الدرج بالقرب من الباكية التي تراها في الصورة أو يجلس على حافة البئر، فإذا ما بلغت الساعة الخامسة وسبعا وعشرين بقيقة زایل مجلسه وارقد ثانية إلى مخدعه . ولقد توفي "شارل" في عام ١٨٢٠ ولكنه لم يتخلف عاما واحدا عن القيام بهذا الدور . أما اليوم الذي اعتاد فيه أن يزایل مخدعه فهو يوم ١٥ ابريل من كل عام ..

نكرى إلقاء القبض عليه . ولما بلغ الأستاذ "فالاندييه" من قصته إلى هذا الحد كان الابتسام قد تبدد من وجهه ولم تعد ملامحه تنم عن السخرية والتهمك . ولاح عليه أن تلك القصة العجيبة اثرت في نفسه . وبعد هنيهة من التفكير والتروي قال "لوبين" :

- وما الذي جرى بعد مائة عام انقضت بعد وفاة "شارل" ؟ ومع ذلك حرص ورثته وورثة "بولين برنمونت" على القيام بهذا الفرض المقدس في ١٥ ابريل من كل عام .. ففي اليوم المعهود يجتمعون في الحديقة ويمضون نهارهم فيها ولا يفارقونها إلا بعد الساعة الخامسة مساء .. وفي الأعوام الماضية الأخيرة قاموا بالبحث والتنقيب في الحديقة فلم يدعوا شبرا منها إلا قلبوه رأسا على عقب . ولم يتركوا قطعة من الأرض إلا حفروها .. ولكنهم كفوا الآن عن هذه الأبحاث كأنما ادركهم اليأس وتقطعت بهم أسباب الرجاء فلم يعيدوا يحفرون بالأمر . وقنعوا منه كله بأن يتربدوا على الحديقة من حين إلى آخر فيقلبوا حجرا أو يهبطوا إلى أغوار البئر يجوسون خلالها دون أن تحفزهم إلى ذلك أية بارقة من الأمل . فتراهم طيلة النهار جلوسا على المقاعد على الدرج صامتين واجمين لا يتحركون ولا يتكلمون كما كان شأن "شارل" المخبول .. وإنهم مثله يترقبون وينتظرون .

ينتظرون بلا رجاء ولا جدوى .. وتلك هي الناحية المفجعة في هذا الحادث .. في خلال هذه السنين المائة تعاقب جيل بعد جيل .. وكانوا جميعا ينتظرون .. وافقدهم الرجاء الكاذب القنرة على العمل ..

وكيف يعملون وهم يترقبون كنزا يغنيهم مدى الحياة .. ! إنهم ينتظرون .. ينتظرون يوم ١٥ ابريل .. فإذا ما حل اليوم الموعود اجتمعوا في الحديقة كانوا يتوقعون أن تحدث معجزة أو يهبط عليهم ملاك من السماء ينبلهم بمكان الكنز . ولقد انتهى بهم الأمر جميعا إلى الفقر المدقع فرأى أسلافي أن يبيعوا البيت ليبتنوا سواء على طراز حبيث يدر إيرادا . كما اقتطعوا جزءاً من الحديقة . أما هذا الركن (واشار إلى الصورة) فقد أبى الورثة أن يفرطوا في شبر واحد منه ... لقد اتفقت كلمتهم جميعا على عدم التفریط فيه ! "لويز برنمونت" (وريثة "بولين") والشحاذان .. والعامل .. والخادم .. وجميع أولئك الذين يمثلون "شارل" المسكين ..

وساد صمت قصير قطعه "لويين" بقوله :

- وما رأيك أنت يا استاذ "فالاندييه" .. ؟

- رأيي أنه كنز موهوم لا اثر له من الحقيقة .. ايمكن أن نقيم وزناً لكلمات خادمة عجوز لم تنطق بها إلا وهي على فراش الموت .. ؟ اليس المعقول أن تكون كلماتها من قبيل هذيان الاحتضار .. ؟ وإذا فرضنا أن القائد خبا كنوزه في هذه الحديقة فهل من المعقول أن تظل مخفاة حتى اليوم على الرغم من البحث والتنقيب .. ؟ قد يسهل إخفاء ورقة أو وثيقة في هذه الحديقة، اما إخفاء كنوز ضخمة لا يكشفها هذا البحث المتواصل فامر يبق على الأفهام، لذلك اعتقد أن الأمر كله لا أصل له ولا ظل من الحقيقة .

- ولكن ما رأيك في الصور . ؟

- أه .. بالتأكيد .. ولكن ايمكن أن تقوم الصور دليلاً حاسماً . ؟

ومال "لويين" فوق الصورة هنيهة يفحصها ثم رفع رأسه وقال :

- ولكنك اشترت في حديثك إلى ثلاث صور فاين الصورتان

الباقيتان ؟

- هذه الصورة اعطاها بعض ورثة "شارل" إلى سلفي . اما الصورة الثانية فموجودة لدى "لويز برنمونت" .

- والصورة الثالثة . ؟

- لا يعرف أحد مصيرها . !

- اتحمل الصور الثلاث نفس التاريخ ٢ .

- نعم .. وشارل برنمونت هو الذي كتبه بنفسه حين احاط الصور
بإطاراتها ، وكان ذلك قبل موته ببضعة اعوام .. نفس التاريخ اي ١٥
٢ - ٤ -

والرقم الأخير معناه العام الثاني من اعوام الثورة اي سنة ١٧٩٤
وهو نفس اليوم الذي اعتقل فيه الجنرال "برنمونت" وابنه "شارل" .
فقال "لويين" :

- اه بالتأكيد .. إن الرقم ٢ معناه ...

ثم امسك فجأة عن الكلام وغرق هنيهة في التفكير ثم استأنف يقول:
- اتاذن لي بان اوجه إليك سؤالاً آخر . ٢ . ألم يتقدم أحد لحل هذا
اللغز وفك معمياته ٢ .

فطوح الأستاذ "فالاندييه" بذراعيه ورفع عينيه إلى السماء وهتف
يقول :

- سالتك الرحمة يا رب . ! لقد جاء وقت لم يكن لي من عمل إلا ان
ازود الناس بشتى البيانات عن هذا الكنز .. ولقد استدعى سلفي
الاستاذ "تيربون" إلى (باسي) أكثر من عشرين مرة فيما بين عامي ١٨٢٠
و ١٨٤٣ ، استدعاه الورثة الطامعون بعد أن اكد المشعوثون والدجالون
وقارئو الطوائع انهم سيهدون إلى مقر الكنز الخفي . ! ولقد ألح علينا
الطامعون وشغلوا اوقاتنا فراينا أن نتوسل إلى التخلص منهم بفرض
شرط يقضي بان يودع كل من يرغب في البحث والتنقيب مبلغاً من
المال . ١ .

- ما قيمته ٢ .

- ألف فرنك ..

- اكان هذا الشرط كفيلاً بإقصالهم وصد التيار ٢ .

- كلا .. فمنذ أربعة اعوام قام منوم مغناطيسي هنغاري بتجربة
جديدة .. واضاع من وقتي الثمين يوماً كاملاً .. فرايت ان ارفع
الضمان المالي إلى خمسة الاف فرنك .. وفي حالة النجاح للمنقب الحق
في الاستيلاء على ثلث الكنز . اما في حالة الإخفاق فيصابر التامين
لمصلحة الورثة .. ومنذ تلك اللحظة لم يزعجني منقب جديد ..

- إليك إنن الخمسة الآلاف فرنك !

فشهق المحامي بهشة وقال :

- هيه ! ماذا تقول .. ؟

فقال "كوبين" وهو يخرج من محفظته خمس ورقات مالية من فئة
الآلاف فرنك:

- أقول إليك الخمسة الآلاف فرنك قيمة التأمين المطلوب ، فاعطني
إيصالا من فضلك وتكرم بدعوة جميع ورثة "درنمونت" لمقابلتي في
(باسي) في يوم ١٥ أبريل من العام القادم .

وانكر الأستاذ «فالاندييه» ما سمعت أذناه وقال وهو ينقل بصره بين
"كوبين" والأوراق المالية .

- آجاد أنت في هذا ؟

- كل الجد !

- ولكنني صارحتك برأيي . ! ليس لهذه الروايات أي سند من
الحقيقة . وليس هناك شبه دليل يدعمها !

فقال "كوبين" في هدوء :

- لست أشاطرك هذا الرأي يا سيدي . !

فرماه المسجل بنظرة من تلك النظرات التي اعتدنا أن نلقيناها إلى
المخبولين الذين فقدوا القدرة على الحكم على صحة الأشياء ونزولا على
الأمر حرر إيصالا باستلامه خمسة آلاف فرنك من الكابتن (جينيوت)
مع وعد صريح بأن له الحق في الاستيلاء على ثلث ما تتكشف عنه
الأبحاث .

وقال الأستاذ "فالاندييه" :

- إذا عدلت عن رأيك فأخطرني قبل الموعد بأسبوع على الأقل ، فإنني
لن أخطر آل "درنمونت" بالأمر إلا في تلك اللحظة الأخيرة حتى لا أبعث
في نفوسهم أملا كاذبا يكون لتهدمه رد فعل شديد في نفوسهم .

فابتسم "كوبين" وقال :

- لك أن تخطرهم في هذه الساعة بالذات يا أستاذ "فالاندييه" ،
فبذلك سيمضون عاما سعيدا والرجاء يملا قلوبهم !

وصافحنا المسجل وخرجنا ، فلما صرنا في الطريق أومات قائلا .

- ماذا هناك يا صاح ؟ اوفقت إلى اثر يرشدك ؟
- انا ؟ كلا مطلقا .. وهذا ما يؤثر اهتمامي !
- ولكنهم بحثوا ونقبوا مدى مائة عام . فما الذي ترجوه بعد ذلك ؟
- إنها مسألة دعامتها التفكير لا البحث والتنقيب . ! وامامي الآن
٣٦٥ يوما افكر فيها اكثر بكثير مما احتاج إليه .. غير اني اخشى ان
تشغلني شؤون الدنيا فانسى هذه المسألة . فارجو ان تذكرني بها إذا
ما ازف الوقت !

* * *

ولم افقا انكر "لوبيين" بالكنز مرة بعد مرة في خلال الأشهر التالية
وهو لا يبدي شيئا من الاكتراث .. ثم حل زمن طويل لم اره في خلاله
إذ اضطرته إحدى مغامراته إلى الرحيل إلى (ارمينيا) .
ولكني كنت في خلال ذلك على اتصال .. مستمر به بالرسائل
فاستطعت ان اكشفه بمعلومات جديدة جمعتها عن جارتني لويز
برنمونت إذ علمت انها احبت منذ بضعة اعوام شابا غنيا ولكن
اسرته حملته على نبذها والتخلي عنها فانزوت المرأة المسكينة مع
طفلتها وبعثها ظروف الحياة إلى العمل اكتسابا للرزق .
ولم يجب "لوبيين" على رسائلي بكلمة واحدة . ولست ادري إذا كانت
قد وصلت أم لا . وكان اليوم الموعد يدنو ويقترب . وانا اسائل نفسي
في شيء من القلق عما إذا كانت مشاغله العديدة ستصرفه عن الاهتمام
بالكنز وإغفاله الموعد الذي حدده بنفسه .
واخيراً حل يوم ١٥ ابريل . وجعلت اترقب قدوم "لوبيين" ولكن دون
جدوى وفرغت من طعام الغداء وهو لم يحضر بعد . فلما جاوزت
الساعة الثانية عشرة غادرت مسكني قاصداً (باسي) .
وما كدت ألج الحارة حتى رايت العامل واسرته وقوفاً بالباب عند
الجدار : فلما انبثوا الأستاذ "فالانبييه" خف إلي مسرعاً وهو يقول :
- هيه .. واين الكابتن "جينيوت" ؟
- وكان هذا هو السؤال الذي اتوقعه .. واخشاه .. فقلت :
- ألم يحضر بعد ؟
- نعم لم يحضر .. والجميع في لهفة إلى مقابلته .

واجتمع القوم حول المحامي . ولم يغب عني ان امارات القنوط
والوجوم التي طالعتني بها هذه الوجوه منذ عام قد اختفت وتبدت .
اذ اشرقت ثنانيهم وعمر الامل قلوبهم .

وقال الأستاذ "فالاندييه" :

- إن قلوبهم عامرة بالرجاء .. وانا المسؤول عن هذه الغلطة ولكن ما
كان في وسعي ان افعل غير هذا .. ! لقد استطاع صديقك ان يؤثر في
نفسه تأثيراً عميقاً حملني على ان اتحدث إلى هؤلاء القوم فيما يشبه
اليقين .. والحق ان صاحبك الكابتن "جينيوت" رجل غريب الأطوار .
وفي حديثه ما يبعث الثقة في نفس اشد الناس استرابة وتشككا .

ثم اخذ يوجه إلي طائفة من الأسئلة عن الكابتن "جينيوت" وانا القي
إليه عنها اجوبة خيالية زائده إعجاباً بصديقي وتقديراً له .

وقال المسجل في صوت يدل على الإيمان :

- بالتأكيد .. كان مفروضاً ان تنكشف الحقيقة يوماً ما .

وكان الجندي يؤمن على هذا الكلام دون ان تخالجه نرة من الشك ؛
اذ كيف يرتاب في اقوال ضابط رفيع الرتبة كالكابتن "جينيوت" . !

اما السيدة ذات الكلب فاهتمت بان تستفسر عن سن الكابتن وهل
هو في شرح الشباب .. !!

اما "لويز برنمونت" فقالت :

- الا يحتمل ان يتخلف ؟ .

فقال الشحاذ :

- لو تخلف لبقيت لنا الخمسة آلاف فرانك فنقتسمها معا .

وهبطت كلمات "لويز" فوق الرؤوس كالماء البارد ففترت .. حماستهم
وتبدد ابتهاجهم وعلام الوجوم من جديد . وثقل الهواء حتى لقد
خيل إلي ان هناك قرأاً يجثم على صدره . وانا ارى بؤس هؤلاء
المتلهفين المساكين الذين تعلق مصيرهم بصديقي "ارسين لوبين" .

ولما تجاوزت الساعة منتصف الثانية بعد الظهر كان القلق قد اشتد
بالاخرين فتهاكتا على احد المقاعد منهكتي القوى . وفجأة اقترب

السيد البدين من المسجل وقال في لهجة عتاب مرة :

- إنك لا تستحق منا يا استاذ "فالاندييه" إلا اللوم الشديد . كان ينبغي ان تاتي بالكابتن معك ولو قسرا عنه .. ! لقد هزا بنا . ! هذا امر جلي .!

ورماني بنظرة لازعة . كما اخذ الخادم يقرض على اسنانه ويتمتم ببعض كلمات السباب بين شفتيه .

ولست انكر ان عتابهم نال مني واثّر في نفسي إذ ازعجني غياب "كوبين" ولم اجد للامر تعليلا إلا انه نسي مسألة الكنز . وملت إلى المسجل وهمست في أذنه قائلا :

- اطلب ظني انه لن يحضر بعد ذلك . !

وجعلت اشحن ذهني مفكرا في وسيلة تهيب لي سببا للانسحاب قبل ان تتخرج الأمور ويبلغ اليأس مناطه . ولكن قبل ان تحين فرصة للانصراف اقبل أحد أبناء العامل من الخارج مسرعا وهو يصيح :

- إني أرى شخصا قادما .. ! على موتوسيكل . وراينا رجلا يجتاز الحارة على متن موتوسيكله بسرعة خارقة تستهدف معها حياته للخطر وفجأة اوقف موتوسيكله امام الباب ووثب إلى الأرض . وكان الرجل مرتديا سترة كحلية أنيقة . ولكن طبقات الغبار علتها فافسدتها .

وهتف الأستاذ "فالاندييه" قائلا :

- ولكن ليس هذا هو الكابتن "جينيوت" .. !

فقد أخطاه التوفيق في معرفته .

وهتف الرجل وهو يصافحني :

- بل هو الكابتن بعينه .. ! وكل ما هنالك اني حلقت شاربي .. !

ومع ذلك فهذا إيصالك المكتوب بخطك يا استاذ "فالاندييه"

واخذ "كوبين" بذراع أحد أبناء العامل وهتف به :

- اسرع يا غلام إلى شارع (رانوارد) واستدع لي تاكسيا .. وإياك والإبطاء فإني مرتبط بموعد مهم في الساعة الثانية او الثانية والرابع

على الأكثر .. !

وسرت بين الحاضرين همهمة تنطوي على الاحتجاج .

وأخرج لوبين ساعته ونظر فيها وقال :

- حسنا .. ! إننا الآن في الساعة الثانية إلا عشر دقائق .. ! أمامي

إن ربيع ساعة .. ! وبالله .. ما أشد تعبني .. ! وما أشد جوعي .. !

وبار الجندي بتقديم قطعة من السندوتش إلى لوبين فراح

يقضمها وقد استوى جالسا ومضى يقول :

- إني أسألكم الصفح أيها السادة . لقد كنت في (مارسيليا) وعدت

منها بالقطار السريع .. ولكن شاء سوء الحظ أن يخرج القطار من

القضبان فيما بين (ديمون) و (لاروش) فقتل عشرة أشخاص وجرح

كثيرون فاضطرت إلى أن أشارك في إسعافهم . وقد عثرت على هذا

الموتوسيكل في عربة البضاعة فسرقته ليتسنى لي الحضور في الوقت

المناسب .. فأرجو يا استاذ "فالاندييه" أن تتفضل بإعادته إلى

صاحبه .. واسمه مدون في البطاقة المثبتة إلى عجلة القيادة .. هيه ..

أعنت يا بني ؟

هل التاكسي واقف بالباب ؟ عند رأس الحانة ؟ حسن .

ونظر في ساعته مرة أخرى ثم قال :

- أزف الوقت .. ! ليست لدي بقية واحدة اضيعها .. !

وارسلت إليه بصري في فضول شديد .. وللقارئ أن يتصور مبلغ

الانفعال الذي كان مستوليا على آل "ترنمونت" في هذه اللحظة .. ولو

أنهم كانوا يعرفون أن هذا الرجل المائل أمامهم هو "ارسين لوبين"

لاطمأن بهم ولسري عنهم وله في حل الأغاز شهرة مدوية ...

وتحول الكابتن "جينيوت" إلى اليسار ومشى صوب المزالة

الشمسية، وكانت قاعدة المزالة تمثل رجلا قوي البنية مفتول

العضلات يحمل فوق كتفيه لوحة رخامية أثر فيها تعاقب الأعوام حتى

بدت خطوط الساعات جلية فيها . وكان فوق اللوحة تمثال لكيوبيد

يحمل في يده سهمًا يستخدم أيضا بمثابة عقرب للمزالة .

مال لوبين فوق المزولة هنيهة وقد استغرقت الخواطر .
رفع رأسه وتحول إلينا قائلا :
فليعربي أحكم مبراته .
وبدت ساعة الكنيسة بقتين .

وفي هذه اللحظة كان ظل السهم ساقطا على المزولة . تماما فوق شق
في اللوحة يقسمها نصفين متساويين تقريبا .
وتناول الكابتن المبراة التي قدمت إليه . وفي رفق شرع يزيل الغبار
الذي تراكم في الشق الضيق فسده .
وفجأة .. على قيد بوصات قليلة من الحافة .. أمسك عن العمل كأنما
اصطدم نصل المبراة بعقبة حالت دون جريانها في الشق . ثم دس
أصبعه في الشق وأخرج شيئا مسه بيده وقدمه إلى الأستاذ "فالانبييه"
وهو يقول :

- هذه يا أستاذ بداية يمكن أن نستهل بها أبحاثنا !
وما كان هذا الشيء إلا ماسة كبيرة مصقولة في حجم البندقة وتابع
لوبين عمله .

وبعد لحظات أمسك مرة أخرى . وظهرت ماسة ثانية ليست دون
الأولى روعة وجمالا .

وجاءت ماسة الثالثة .. ثم رابعة .. !
وفي خلال دقيقة واحدة . وبون أن يغوص لوبين بنصل مبراته .
إلى أكثر من نصف بوصة . استطاع أن ينتزع من الشق عشرين ماسة
متماثلة الأحجام !

وفي أثناء ذلك لم تبدر من الورثة صيحة دهش واحدة .. كانوا
وقوفا حول المزولة يرقبون .. يتطلعون بعيون منهولة وقد عقدت
الدهشة أسنتهم .. !

وأخيرا هتف السيد البدين :

- أيتها العذراء .. !

وصاح الجندي :

- سيدي الكابتن .. ! سيدي الكابتن .. !

ترنحت الأختان وسقطتا مغشيا عليهما .. على حين جلت صاحبة الكلب واخذت تصلي .. اما الخادم فكان يخر فاقدًا رشده ، لولا ان استند بمرفقه إلى المزولة وهو يتمايل .. ونظرت إلى "لويز برنمونت" فوجدتها قد انشأت تبكي .

وحين قررت الضجة وسكنت الاعصاب . وتلفت القوم حولهم ليقدموا آيات الشكر إلى الكابتن "جينيوت" الفوه قد انصرف واختفى !

* * *

بعد ايام التقيت بـ "ارسين لوبين" فانشا يحدثني عن الكنز إجابة لسؤالي :

- حكاية الماسات العشرين .. ؟ اه .. ! لعمرى إنني ليزدهيني الفخار حين انكر ان ثلاثة او اربعة اجيال من الناس قد قدحوا انهانهم سعيًا وراء الكنز فآخفوا .. ! مع ان الماسات كانت مخبأة على قيد خطوة منهم ... لا تعلوها إلا بوصة واحدة من الغبار المتراكم .. ؟
- ولكن كيف خمنت الحقيقة ؟

- لم اخمن . وإنما فكرت .. ! بل إنني لأرتاب في انني فكرت .. ! لقد كان الامر من السهولة بحيث لم يكن هناك ما يدعوني إلى التفكير وشحذ الذهن لقد استرعى يصري منذ البداية ان هناك عاملا واحدا يسيطر على الموقف كله .. وهذا العامل هو الزمن .. قبل ان يختبل عقل "شارل برنمونت" كتب تاريخا في ذيل الصورة .. ولما اصابته اللوثة اعتاد ان يهبط إلى الحديقة مرة في كل عام مدفوعا بما بقي في ذهنه من بارقة التعقل .. وفي كل عام لم يكن يغادر الحديقة إلا في الساعة الخامسة والدقيقة السابعة والعشرين . فلا شك إذن ان في مخه تكرى قديمة تتغلب على جنونه وتحفره إلى هذا التصرف .. فما هي إذن هذه الذكري المتغلبة .. ؟ لم تكن هناك أدنى رغبة في ان الزمن إذن هو العامل المتحكم .. العامل المتسلط على ذلك الذهن المخبول .. وكان الزمن متمثلا في المزولة الشمسية الموجودة في الصورة التي رسمها أبوه

فدورة الأرض السنوية حول الشمس هي التي كانت تحمل "شارل برنمونت" على الخروج إلى الحديقة في يوم معين .. ودورة الأرض اليومية حول محورها هي التي كانت تحمله على مغامرة الحديقة في ساعة معينة .. او بعبارة أخرى تلك الساعة التي تحجب فيها أشعة الشمس عن حديقة (باسي) .. وفي كل هذا كانت الشمس هي الرمز القائم ، ولهذا سهل علي أن أعرف النقطة التي أبدا فيها بحثي ..

فقلت متسائلا :

- ولكن كيف حددت الساعة التي تبدأ فيها البحث ؟ .

- من الصور .. إن رجلا يعيش في عهد الثورة ينبغي أن يستعمل في كتابة التواريخ أحد تقويمين : التقويم العادي .. والتقويم الثوري . فإما أن يقول ١٥ أبريل سنة ١٧٩٤ وإما أن يقول ٢٦ جرمينال سنة ٢ طبقا للتقويم الذي وضعه الثوار . ولكنه خلط بين التقويمين فقال ١٥ أبريل سنة ٢ ولم تكن هناك أية شبهة في أن هذا الخلط كان متعمدا مقصودا . ويدهشني أن هذا الخاطر لم يطف بذهن أحد قبلي .

- إذن فالرقم ٢ معناه الساعة الثانية لا السنة الثانية ؟ .

- بالتأكيد .. وإليك ما اعتقد أنه حدث : باع الجنرال "برنمونت" كل أملاكه . ثم رأى بدافع من الحرص والحذر أن يبتاع بالمال عشرين ماسة . فحين طرق الجنود بابه أسرع إلى الحديقة ليخفي ماساته .. ولكن أين يجد المخبا الأمين..؟ اتفق في هذه اللحظة أن حانت منه لفتة إلى المزولة الشمسية .. وكانت الساعة الثانية بعد الظهر .. وكان ظل السهم ساقطا فوق الشق الذي يشطر اللوحة نصفين فاستجاب إلى علامة الظل ودفن ماساته في الشق في طيات الغبار المتراكم المتلبد .

فقلت معترضا :

- ولكن ظل السهم يسقط على طول الشق عند ظهر كل يوم لا في يوم ١٥ أبريل فقط .

- أنسيت يا صديقي أن الذي كتب هذا التاريخ هو الابن "شارل" ، وأن "شارل" ملتوي الذهن وقد اختبل فيما بعد .. فهو لا يذكر إلا شيئا

واحدا .. اليوم الذي وقع فيه الاعتقال .

قلت :

- ولكن ما دمت قد أزحت الستار عن اللغز بهذه السهولة ، فلم لم
تتسلل إلى الحديقة وتستولي على الماسات لنفسك !

فابتسم "لويين" ابتسامة حزينة وقال :

- ما كنت لأحجم عن هذا لو أن الورثة من طراز آخر .. ولكنهم قوم
بؤساء تعساء وقد أحرزني أمرهم وأدركتني الشفقة عليهم فلم
يطاوعني قلبي على أن أسلبهم كنزهم .. إنك تعرفني يا صديقي ..
وتعرف حماقتي . ! إن "لويين" مولع بأن يكون عند الفقراء رسول
سعادة وهناءة .. كم من مرة سرقت لأعطي المساكين .. ذلك شأني
ورأيي دائما ، . ! في هذه الدنيا أغنياء يقتنون ماسات لا تقدر بثمن ،
أو صورا وتحفا نادرة .. هذه الماسات وهذه التحف تحلت بها الصدور
والجدران . ولكن أية فائدة لها .. اليس أولى بأصحابها أن يبيعوها
ويقدموا ثمنها للفقراء المعوزين . ! هذه الصورة المعلقة على الجدران
.. وهذه الماسة المتدلّية من أنف الحسنة .. تسعد أسرة فقيرة عاما
كاملا .. ولكن الأغنياء لا يفكرون في هذا ، ولذلك يتولى "لويين" التفكير
عنهم . ! إنني أسرق الصور .. والتحف .. والماسات لأنفق ثمنها على
الفقراء . ! فكيف تريدني بعد هذا أن أسرق الماسات من المزولة وأحرم
الورثة المساكين منها .

فقلت :

- وحصتك من الكنز ؟ . كان لك أن تستولي على الثلث ؟ .

- ولا هذا أيضا . !

- ولا هذا ؟ .

- نعم .. لقد نزلت حتى عن حصتي لأصحاب الكنز . لم تكن قيمة
نصيبني لتقل عن مليون فرنك ، ولكنني نزلت عنه عن طيب خاطر
قلت :

- إنني فقد كانت خسارتك مليون فرنك ؟ .

فضحك وقال :

- كلا .. بل مليون فرنك مضافا إليها المائتا فرنك التي اقترضتها
لدام "امبرت" اللعينة . ! وصدقني إن ضياع المائتي فرنك كان على
نفسي اشد وقعا من ضياع هذا المليون . !

الفصل الثالث

في الساعة الرابعة من مساء أحد الأيام وقد بدا النهار ينصرم رجع المزارع "جوسوت" وابناؤه الأربعة إلى دارهم بعد أن امضوا نهارهم في الصيد والقنص . وكان الرجال الخمسة طوال القامة عريضى المناكب مفتولي السواعد لوحث الشمس بشرتهم وركب الله لكل منهم فوق عنقه الغليظ رأساً صغير الحجم ذا جبين ضيق منبعج وشفتين رقيقتين وأنف معقوف وسحنة قاسية تنم عن الشدة والبطش وكان جميع أهل القرية يهابونهم وينفرون منهم . وكانوا معروفين بالجشع . وحين بلغوا الجدار المرتفع الذي يقوم حول أملاك (هيبر فيل) فتح الأب الباب بمفتاح ضخم رده إلى جيبه بعد أن دخل أولاده وقد تبعهم على الإثر مجتازين الطريق الذي يتخلل الأشجار .

وقال أحد الأبناء الأربعة :

- أرجو أن تكون أمي قد أشعلت المدفأة .

فقال الأب :

- إنى أرى دخانا منبعثا من المدخنة .

وبنت معالم البيت على البعد في نهاية الحديقة . وقد تراءت أبراج الكنيسة سامقة شاهقة تناطح السحب .

وقال "جوسوت" :

- البنائق كلها فارغة !! ليس كذلك ؟

فقال الابن الأكبر :

- عدا بندقيتي فقد حشوتها برصاصة لأجرب مهارتي .

وكان الأكبر أشدهم زهواً وغروراً ببراعته في إصابة الهدف .

وتحول إلى إخوته قائلاً :

- انظروا إلى هذا الغصن . عند رأس شجرة الفراولة ساجعله

نصفين ..

وكان على الغصن فزاعة الطيور . وهي تمثال مصنوع من الأقمشة

على صورة الإنسان يثبت فوق الأشجار حتى إذا راته الطيور حسبته

إنسانا ففرت فزعة .

رفع الابن الأكبر بندقيته وسدها إلى الغصن واطلق النار .
وترنج التمثال وهو على شكل مضحك . ثم علق بأحد الأغصان
السفلى فظل منبسطا عليه فوق بطنه . وعلى رأسه قبعته المعهودة
المصنوعة من الخرق البالية . أما ساقاه المحشوتان بالقش فكانتا
تهتزان وتتارجحان يمينا ويساراً .
واضحكهم هذا المنظر . وقال الأب مقرظاً :

- رصاصة صائبة يا بني .. ! وفضلاً عن هذا فقد بدا تمثال الفزاعة
يضايقني ويثقل على صدري . وما جلست يوماً أتناول طعامي في
الشرفة إلا استقر بصري على التمثال وخيل إلي أنه يرمقني بنظرات
شرهة .. ! شكراً على أنك أرحمتني منه .. !
وساروا بضع خطوات .

وحين صاروا من الدار على قيد ثلاثين خطوة وقف الأب فجأة في
مكانه وهتف يقول :

- ما هذا ؟

وكذلك جمد الأبناء الأربعة في أماكنهم وأرهفوا أذانهم للسمع وقال
أحدهم في صوت خافت :

- إن الصوت صادر من البيت .. ! من غرفة الغسيل .. !
وتتمت ثان يقول :

- كاني به صوت تاوهات .. ! وامي وحدها في البيت .. !
وفجأة .. دوت صرخة حادة .

وانطلق الرجال الخمسة صوب الدار .
ثم صرخة أخرى .. اعقبتها صيحات يأس وقنوط .
وهتف الابن الأكبر الذي كان يتقدم الجمع :

- إننا هنا .. ! إننا آتون .. !

ولما كان الطريق ملتويًا فقد وثب الابن الأكبر إلى أقرب نافذة إليه
وهشم زجاجها بقبضة يده وقفز إلى الداخل .

وكانت الغرفة التي ولجها هي المخدع الذي ينام فيه أبوه . أما
الغرفة المجاورة فكانت غرفة الغسيل حيث اعتادت الأم "جوسوت" أن

تمضي سحابة نهارها .

وحين راها طريحة على الأرض غارقة في دمها صرخ يقول :

- يا إلهي .. ! أبت .. ! أبت .. !

وصاح الأب 'جوسوت' :

- ماذا جرى .. ؟ أين هي ؟

وحين استقر بصره عليها صرخ يقول :

- يا إلهي .. ! ما معنى هذا .. ؟ ماذا فعلوا بك يا أماء ؟

واستجمعت المرأة قواها .. بسطت نراعها مشيرة وتمتمت في

صوت ضعيف :

- الحقوا به .. ! من هذه الناحية .. ! هذه الناحية .. ! إنني بخير .. !

خدش او خدشان .. ! الحقوا به .. ! لقد سرق مالنا .. !

وصرخ الأب وأبناؤه :

- سرق المال .. !

وانطلقوا صوب الباب الذي أشارت إليه الأم وهم يريدون :

- سرق المال .. ! تباً له .. ؟ هيا وراء اللص .. !

وارتفع من أقصى الدهليز الذي ساروا فيه صوت أحدهم يقول :

- رايته .. ! رايته .. !

وصاح آخر :

- وأنا أيضا .. ! لقد ارتقى السلم .. !

- كلاها هو ذا ينزل ثانية .. !

وكانت مطاردة حامية جنونية .. مطاردة اهتزت لها كل غرفة في

البيت حتى كانت تتصدع منها الجدران .

وحين بلغ الأب 'جوسوت' نهاية الدهليز لمح رجلا واقفا عند الباب

الأمامي وهو يحاول فتحه .

لو أنه افلح في فتح هذا الباب لاستحال اللحاق به إذ ليس أيسر من

التستر بالأشجار واجتياز الحديقة ثم التغلغل في أزقة القرية

وطرقها .

وأسرع الأب 'جوسوت' وانقض على الرجل وهو يعالج الباب ولكن

هذا تلقاه بضربة القته على الأرض صريعا . ثم رجع على عقبه يجتاز

الدھليز ثانية والأبناء الأربعة في إثره حتى إذا انتهى إلى المخدع
تخطى سياج النافذة المهشمة وقفز إلى الحديقة واختفى .

وانطلق الرجال في إثره يجوسون خلال الحديقة ويبحثون عنه بين
شجيراتھا الملتفة . وقد بدا الظلام يرخي سدوله .

صاح الأب "جوسوت" وهو يضحك :

- وقع الشرير في الفخ .. لا مهرب له .. ! إن السياج مرتفع لا
سبيل إلى تخطيه .. ! سنظفر به حتما .. !

وكان بعض المزارعين الذين يعاونونه في العمل قد رجعوا من القرية
في هذه اللحظة فأنبأهم بما وقع وأعطى كلا منهم بندقية وقال :

- إذا تراءى لكم شبحة فلا تترددوا في إطلاق النار عليه .. ! إياكم
أن تاخذكم به رحمة أو شفقة .. !

ثم حدد لهم المواقع التي يقفون فيها وأسرع إلى بوابة المزرعة التي
لا تستعمل إلا لمرور المركبات . فلما ايقن من أنها مغلقة ذكر إذ ذاك -
وإذ ذاك فقط - أن زوجته جريحة وأنها قد تكون في حاجة إلى شيء
من الإسعافات فرجع إليها وأقبل عليها يسألها :

- كيف حالك يا الآن .. !

- أين اللص .. ؟ انظروا به .. ؟

القت إليه هذا السؤال في أنفاس متقطعة مبهورة .

- إننا نجد في إثره .. ولن يفلت منا .. ! وأغلب ظني أن الأولاد قد

اقتنصوه الآن .

وكان في هذا النبا ما أبهج قلبها ورد إليها قواھا الضائعة ، وصب
زوجها في حلقها رشفة من الشراب فانتعشت واستطاعت أن تنتقل إلى
فراشها مستندة إلى ذراع "جوسوت" .

ثم شرعت تروي قصتها . وكانت قصة وجيزة مختصرة : فرغت من
إشعال المدفأة في قاعة الجلوس . وجلست عند نافذة مخدعها تبرز
قطعة من القماش مترقبة عودة زوجها وأبنائها حين خيل إليها أنها
سمعت صوتا صادرا من غرفة الغسيل .

وقالت في نفسها : - لا شك أنني سهوت عن إخراج القطة فحبستها
هناك .

ومضت إلى الغرفة دون أن تخالجها ذرة من الريبة : على أنها ما كادت تتخطى العتبة حتى أدهشها أن ترى باب الدولاب الذي تودع فيه المال المدخر مفتوحا على مصراعيه . فسارت إليه وهي لا تتوقع شراً فإذا بها ترى رجلاً واقفاً عند الدولاب .

فقال الأب "جوسوت" :

- ولكن كيف استطاع الدخول ؟

- من الدهليز فيما اعتقد . فإننا لم نعتد إغلاق الباب الخلفي .

- وهل هجم عليك .. ؟

- لا بل أنا التي هجمت عليه .. ! فحاول أن يفر هارباً .

- كان ينبغي أن تدعيه ولا تحاولي اللحاق به .. !

- والمال الذي سرقه .. ؟ ادعه يهرب بما أبقينا ... ؟

- أكان إذن قد سرقه في هذه اللحظة ... ؟

- بالتأكيد .. لقد رايت رزمة الأوراق المالية في يده إلا سحقا له .. ! لو استطعت لقتلته في هذه اللحظة .

- ألم يكن مسلحاً .. ؟

- لم يكن سلاحه خيراً من سلاحي ! كان كل منا مدججاً بأصابعه وأظفاره وأسنانه .. ! انظر ... لقد عضني هنا . ! وقد اضطررت إلى أن أصرخ . ! لا تلمني فأني لست إلا امرأة طاعنة في السن ... وقد أكرهني اللعين على أن أتخلي عنه وأطلقه .

- اتعرفينه .. ؟

- إنني موقنة أنه "ترينارد" العجوز ..

- الويل له .. ! نعم . لا بد أنه "ترينارد" اللعين .. ! ولقد خيل إلي أنا أيضاً أنني عرفته .. ! ولقد لمحته في الأيام الثلاثة الماضية يحوم حول البيت .. لا ريب أن الشقي استشعر أن لدينا ما لا مدخراً . ! تباً لك يا "ترينارد" . ! سوف ترى أنني سأعرف كيف أنتقم .. !

- هل في وسعك الآن أن تزيلي فراشك .. ؟ حسناً .. انهبي إذن وأخطري الجيران بما وقع . واطلبي إليهم أن يبادروا باستدعاء البوليس ليت شعري كيف استطاع "ترينارد" العجوز أن يجري .. نعم .. نعم .. عهدي به كالأرنب قوي السيقان ..

ولم يكن في نية "جوسوت" أن يتهاون لحظة واحدة في إنزال العقوبة الصارمة بـ"ترينارد" الشيخ ... في نيته إذا ما اقتنصه أن ينهال عليه ضرباً بالسوط ثم يسلمه إلى رجال البوليس .

وتناول المزارع بندقية ولحق برجاله الذين أرصدهم للمراقبة وقال :

- ألم يجد شيء .. ؟

- نعم لم يجد شيء .

- لن يطول انتظارنا إذن ...

وما بين لحظة وأخرى كانوا يسمعون صوت الأخوة الأربعة ينادي بعضهم بعضاً ، وهم يجوسون خلال الحديقة ، ويضربون بمقابض بنادقهم فيما بين الشجيرات . ولكن التوفيق أخطاهم فلم يهتدوا إلى مخبأ اللص .

أخيراً رجع أحد الأبناء وفي وجهه إشارات الخيبة ولم يحاول أن يكتُم رايه فقال :

- الظلام حالك يا ابتاه . فلا فائدة ترجى من مواصلة البحث الليلة ولا شك أن اللعين قد اختفى في إحدى الحفرات .. فاولى بنا أن نرجىء المطاردة حتى الصباح .

فصاح الأب :

- الصباح . ماذا دهك يا بني ؟ أفقدت الجلد والشجاعة ؟

وجاء الابن الأكبر إذ ذاك مبهور الأنفاس ، يتصبب جبينه عرقاً ، وشاطر أخاه رايه .. واي ضر يمكن أن ينكشف عنه الانتظار واللص حبيس بين جدران المزرعة العالية كأنه نزيل سجن لا سبيل له إلى الفكاه منه . ؟

فصاح الفلاح الشيخ :

- إذن ساتولى البحث بنفسي . ! اشعلوا لي مصباحاً . !

وفي هذه اللحظة وصل ثلاثة من رجال الشرطة يصحبهم نفر من أهل القرية جاوعاً يستطلعون آخر الأنباء .

وكان السرجنت الذي يتولى رئاسة الشرطة ولوعاً بالنظام فاصر على أن يسمع القصة أولاً بحذافيرها قبل أن يشرع في البحث ، فلما فرغ الأب "جوسوت" من روايته غرق السرجنت في التفكير .. ثم راح

يطرح شتى الأسئلة على الإخوة الأربعة كل على انفراد .. وكان إذا ما فرغ من استجواب أحدهم أطل التفكير .

وأخيراً حين عرف أن اللص فر هارباً صوب الجهة الخلفية من المزرعة وأن أثره قد اختفى بالقرب من مكان معروف باسم «بيت الغربان»، فكر طويلاً ثم أدلى برأيه قائلاً :

- أولى بنا أن ننتظر .. إن المطاردة في هذا الظلام الحالك ستهدم «ترينارد» العجوز سبيلاً إلى الإهلات من بين أيدينا دون أن نشعر به .. والآن أسعيتهم مساء !

وهز الأب «جوسوت» كتفيه حنقاً ولعن في سره .. ولكنه كان لابد من بسط رقابة شديدة على المزرعة حتى لا يحاول اللص الفرار أثناء الليل. فتولى السرجنت بمساعدة الأب «جوسوت» توزيع أهل الدار وبعض المزارعين والقرويين في شتى الأنحاء . فارصدوا هذا هنا وذاك هناك . ولما اطمأن السرجنت إلى كمال خطته الحربية أوى إلى الدار وامضى الليل يحتسى كؤوس الشراب التي قدمها إليه «جوسوت» . وانقضى الليل في سلام .

وكلما انقضت ساعتان غاب السرجنت الدار وطاف بمراكز المراقبة ليطمئن إلى أن الرجال ساهرون متيقظون . ولم يقع أي حادث يثير الشبهات . إن فلانزال ترينارد العجوز منزوياً في الحفرة التي أوى إليها . وبدأت المعركة عند الفجر . واستمرت أربع ساعات .

وفي خلال هذه الساعات الأربع لم يدع المطاردون شبراً من الثلاثة عشر فدانا المسورة بالجدران العالية إلا نقبوا فيه ... ولم يتركوا ركناً من الأرض إلا قلبوه رأساً على عقب .. كل حفرة فتشوها .. وكل زاوية بحثوا فيها .. وجعلوا يجوسون خلال الشجيرات المتكاثفة بعصيتهم .. ويطنون الأعشاب الطويلة النامية بأقدامهم .. ويزحزون أغصان الأشجار وينظرون فيما بينهم ..

ومع ذلك لم يقعوا على أثر «ترينارد» العجوز .

وقال «جوسوت» مزمجرأ :

- إن الأمر محير مريب .. !

وقال السرجنت مؤمناً :

- الحق انه يدهشني انا ايضا .. !

ولم تنفق الانهان عن اي تعليل لهذا الاختفاء العجيب . !
لم يكن في المزرعة إلا عدد قليل من الشجيرات وقد بحثوا في خلالها
بحثا دقيقا .. اما الاشجار فكانت كلها عارية من الأوراق فلم يكن ثمة
سبيل إلى الاختفاء فيها . لم يكن هناك بناء او كوخ او كهف .
وقصارى القول إنه لم يكن في المزرعة مخابا يختفي فيه "ترينارد"
العجوز ، والمخابى الموجودة فتشت كلها ونقب فيها .
وقال احد الحاضرين :

- يحتمل ان يكون قد تخطى الجدار ؟ .

واتجه البحث إلى هذه الناحية .. ولكن الرأي ما لبث ان اجتمع على
ان تسلك الجدار مستحيل .

وبعد الظهر تولى قاضي التحقيق ووكيل النيابة التحقيق . ولكنه لم
يسفر عن شيء جديد . بل لقد تسرب الشك إلى نفوس المحققين ووقع
في روعهم ان الحادث اكنوبة ملفقة لا ظل لها من الحقيقة وان الاعتداء
المزعوم على الام "جوسوت" لم يقع مطلقا .. !
وقال القاضي يسأل "جوسوت" :

- اموقن انت يا "جوسوت" من ان البصر لم يخدعك وابناك فرايتم
شيئا لا وجود له ؟ .

فقال المزارع وقد استولى عليه الغضب :

- وما يكون من شان زوجتي ؟ . اكانت مخدوعة هي ايضا حين
انقض عليها الشرير واطبق باصابعه على عنقها ؟ . إذا خالجتك
الريبة في قلبي فافحص عنقها وانظر إلى ما هو مطبوع عليها من اثار
الاصابع . !

فقال القاضي :

- حسنا .. حسنا .. ولكن أين اللص إذن ؟ .

- هنا ، حبيس بين الجدران .. !

- إذن عليك ان تجده . ! ما دمت موقنا من وجوده فائقنا به . ! اما
نحن فقد اتركنا الياس وقطعنا الرجاء .. ! وجلي انه لو كان اللص
مختبئا بين جدران هذه المزرعة لكنا الآن قد وفقنا حتما إلى الاهتداء

إليه .

فصاح "جوسوت" في انفعال :

- أقسم اني سأظفر به مهما يقتضيني الأمر .. ان يقال في يوم من الأيام إن لصا سلب "جوسوت" ستة آلاف فرنك .. !
نعم ستة آلاف فرنك .. ! لقد بعث ثلاث بقرات .. ثم هناك ثمن محصول القمح .. وثمان ثمار التفاح .. ستة آلاف فرنك أوراقا مالية كنت أوشك أن أمضي بها إلى البنك .. ! أقسم اني سأظفر به . واني اعتبر المال كأنه موجود الآن في جيبتي .. !
فقال قاضي التحقيق :
- حسنا .. أتمنى لك التوفيق .

ثم انصرف وفي رفقته وكيل النيابة يتبعهما رجال الشرطة ، وكذلك أخذ الجيران ينصرفون تباعا . وما أن انقضت ساعات بعد الظهر حتى كان الجمع كله قد انفض ولم يبق إلا "جوسوت" واثنان من عمال المزرعة ومضى "جوسوت" يشرح الخطة التي اعتمد تنفيذها : عليهم أن يواصلوا البحث طيلة النهار دون كلل أو ملل . فإذا ما هبط الليل راقبوا المكان مراقبة دقيقة .. وسيستمرون على ذلك مهما يطل الأمر .. إن "ترينارد" العجوز ليس إلا بشرا .. فلا مفر له من أن يأكل ويشرب .. إنه لن يموت جوعا .. وستقصره هذه الحاجات على أن يتسلل من مخبئه ليأكل ويشرب .. وسيكونون له بالمرصاد فإذا ما زایل مكانه انقضوا عليه وأخذوا بتلابيبه .

قال "جوسوت" :

- يحتمل أن تكون في جرابه بعض قطع من الخبز يتبلغ بها . وقد يسطو على ثمرة أو ثمرتين في أثناء الليل . أما الماء فلا سبيل له إليه ..

ليس في الحديقة إلا عين واحدة . وانه ليكون شيطانا من الجن إذا استطاع أن يصل إلى العين .. !!
وفي تلك الليلة تولى "جوسوت" حراسة العين .

وبعد ثلاث ساعات حل الابن الأكبر مكانه . وقد أمضى عمال المزرعة ليلتهم في الدار وهم يتبادلون نوبة الحراسة وقد اشعلوا المصابيح

والقناويل كلها حتى لا يؤخذوا على غرة .
ودابوا على هذه الرقابة أربع عشرة ليلة متوالية .. !
في اثناء الليل يراقبون ويسعدون .. واثناء النهار يفتشون
وينقبون . !

وفي الليلة الاخيرة كانت الامور كشانها في الليلة الاولى . لا يزال
اللس مختفيا ومعه ستة الالف فرنك .. !

ولم يكف "جوسوت" الاب لحظة واحدة عن الشتم والسب .. إنه موقن
من أن "ترينارد" مختف في المزرعة ولكن في اي ركن منها ؟
واستدعى "جوسوت" شرطيا سريا ممن اعتزلوا الخدمة وعهد إليه
بمعاونته في البحث . واقام المفتش السري اسبوعا كاملا في المزرعة
.. ومع ذلك فلم يهتد إلى "ترينارد" العجوز . بل لم يوفق إلى أي اثر
يمكن أن يحيي الامل في الصدور .
وقال "جوسوت" الاب :

- إنه لغز محير .. ! لغز محير جداً .. ! إنني موقن من انه موجود .. !
نعم .. إنه هنا .. حبيس بين جدران هذه المزرعة .. !
ووقف "جوسوت" على عتبة الدار وزعق بملء صوته موجها حديثه
إلى اللص الخفي :

- الا تعلم ايها الاحمق انه لا سبيل إلى الفرار وانك .. ستموت
اختناقا في حفرتك ! اتحسبني ارضى بان افرد في ستة الالف
فرنك .. ! اختف إذن ايها الغبي الاحمق فإنني لك بالمرصاد ولن تغفل لي
عين .. !

وردت الام "جوسوت" شتائم زوجها وصرخت بصوتها الحاد
النبرات :

- إنك خائف من أن نزع بك في السجن .. ! حسنا .. اعد إلينا
الاوراق المالية نطلق سراحك على الفور ولا نسلمك إلى البوليس .. !
ولكن "ترينارد" العجوز لبث لائذا بالصمت لا ينطق بكلمة ولا يكشف
لهما مخبأه على الرغم من مواصلتهما النداء عليه حتى يجع منهما
الصوت .
وتتابعت الايام .

وبلغ من قلق "جوسوت" وما أرهق به نفسه أثناء البحث انه أصيب بالحمى . اما أبنائوه فساعت أخلاقهم ونزعوا إلى الشراسة والمشاكسة.

وكانوا لا يتخلون لحظة واحدة عن بنادقهم وفي عزمهم ان يطلقوا النار ولم يكن للقرية من حديث غير حديث هذه السرقة .

وردت الألسن القصة حتى انتهت إلى صف المدينة فتناقلتها . وأوفت بعض الصحف رجالها للتحري .. بل لقد أوفت بعض صحف باريس مندوبيها .. غير أن "جوسوت" لقي رجال الصحافة غاضبا وأوصد بابه في وجوههم حائقا وهو يقول :

- كل إنسان ملك في داره .. فلا تتعرضوا لشؤوني .. ! هذا امر يعنيني وحدي فلا تتدخلوا .. !

- ولكن ألا ترى يا "جوسوت" ..

- لست أرى شيئا .. اغربوا عن وجهي .. !

وصفق الباب في وجوههم .

وإلى هذه اللحظة كان قد مضى اسبوعان و"ترينارد" العجوز حبيس بين جدران المزرعة .. ولم يتهاون "جوسوت" في البحث لحظة واحدة .. كان يوالي التنقيب بنفس الهمة التي بدأ بها في اليوم الأول . وإن كان رجاؤه قد أخذ يضعف تدريجيا كانما استشعر أن في الأمر سرا خارقا للطبيعة لا سبيل لقنرة بشرية إلى التغلب عليه واستكناه معمياته .

وبدا الياس يتسرب إلى نفوسهم . ووقع في روعهم أنهم لن يروا للمال المسروق ظلا .

* * *

في ذات صباح .. في نحو الساعة العاشرة .. كانت هناك سيارة تجتاز ساحة القرية بسرعة خارقة .

وفجأة هدأت السيارة من سرعتها ووقفت دفعة واحدة وقد أصيبت بخلل .

وفحصها قائدها فحصا دقيقا وقرر أن إصلاح العطب سيستغرق وقتا فلم ير صاحبها مندوحة إزاء هذا من المضي إلى فندق القرية ليتناول الغداء . ويصيب شيئا من الراحة ريثما يتم إعداد سيارته وصاحب السيارة في العقد الرابع من العمر ، باش الوجه رقيق الحديث ، حلوه . وما أن أمضى في الفندق فترة وجيزة حتى لقي من اصحابه كل عناية لما طبع عليه من البشاشة ورقة الجانب .

وطبيعي أن يرووا له قصة "جوسوت" واللص الخفي . ولم تكن قد بلغت من قبل ، إذ كان مسافرا في الخارج ، ولم يعد إلا منذ أيام قليلة ، ولكن الحادث استرعى اهتمامه ، وطاب له أن يسمع التفاصيل . وكان في خلال ذلك لا يفتأ يستفسر عن بعض النقاط الغامضة المبهمة ، واشترك في الحديث جميع الجالسين إلى الموائد الأخرى وكل يدلي بنظريته وبالتفسير الذي يراه مبدداً للظلمات ..

وأخيراً قال السيد صاحب السيارة :

- كلام فارغ .. لست اعتقد أن للحادث كل هذا الغموض ، ولقد مرت بي من قبل تجارب من هذا النوع ، ولو أنني كنت موجودا في المزرعة لاستطعت أن ..

فقال صاحب الفندق مقاطعا :

- ليس أيسر من أن ندبر لك الأمر ، إن المزارع "جوسوت" صديق لي ، وما أحسبه سيخيب رجائي .

وخف صاحب الفندق إلى "جوسوت" ، وكان المسكين قد بلغ من القنوط حداً لا يملك معه رفضا أو قبولا . أما زوجته فقالت :

- فليحضر هذا السيد إنن ! من يدري !

وبفع السيد ثمن طعامه ، ونبه على سائقه بأن يلحق به فور فراغه من إصلاح السيارة وقال له :

- الحق بي عند المزرعة بعد ساعة .. ساعة واحدة فلست في حاجة إلى أكثر منها .

ثم مضى إلى مزرعة "جوسوت" .

وفي المزرعة أصغى إلى حديث 'جوسوت' وكان 'جوسوت' مسهباً في حديثه، نزوعاً إلى الثرثرة والإفاضة ، فقاد السيد إلى الجدران التي تسور المزرعة وأراه المفتاح الذي أغلق به الباب ، ومضى يشرح له تفاصيل البحث الذي قام به مع رجاله .

ومن الغريب أن هذا السيد كان شارد الذهن كأنما لا يصغي إلى حديث 'جوسوت'، كان يرمي ببصره هنا وهناك في شروود دون أن يتكلم، ولما فرغوا من الطواف بالمزرعة قال 'جوسوت' :

- هيه .. ماذا ترى ؟

- ماذا أرى ؟

- انتظن أنك كشفت الحقيقة ؟ .

ومرت لحظة دون أن يحير الزائر جواباً .

ثم قال :

- كلا ..

فرمى المزارع بيديه إلى السماء وهتف يقول :

- بالتأكيد كلا .. أنى لك أن تكشف الحقيقة وقد سعينا إليها من قبل

طيلة اسبوعين كاملين . ! أتريد أن اصارك برايي . ؟ إنني أعتقد أن

'ترينارد' العجوز قد قضى نحبه في الحفرة التي لاذ بها ، ومعه

الأوراق المالية . ! نعم .. إن أمواله معه .. ستبلى إلى جانب جثته ..

هذا هو رأيي .. وثق أنه عين الصواب . !

ولما أمسك 'جوسوت' عن الكلام قال الزائر الغريب في صوت هادئ :

- هناك شيء واحد يثير الاستغراب : لا شك أن اللص استطاع في

أثناء الليل أن يقتطف من الثمار ما يقتات به حتى لا يموت جوعاً ..

ولكن كيف احتال على إطفاء ظمئه وأنتم ترصدون العين . !

- لست أبري .. ليس في الحقيقة كلها إلا عين واحدة . هذه العين ..

ولم تغفل عنها لحظة واحدة طيلة الأيام الماضية .. لا ليلاً ولا نهاراً . !

- ومن أين تنبّع هذه العين ؟ .

من هذا المكان الذي تقف عنده .

- اهنالك ضغط كاف يرسل الماء إلى الحوض من تلقاء نفسه . ؟
- نعم .

- وإلى اين يجري الماء إذا ما خرج من هذا الحوض ؟
- يجري في هذه الانبوبة الممتدة تحت الأرض حتى ينتهي إلى
البيت ، فلا سبيل له كما ترى إلى إطفاء ظمئه ، ونحن نرصد المكان
ليلاً ونهاراً .

- ألم تمطر السماء في خلال الأسابيع الأربعة الماضية . ؟
- نعم .. لم تمطر ولا مرة واحدة .
وسار الزائر إلى النبع وفحصه ، وكان الحوض عبارة عن بضعة
الواح من الخشب ضم بعضها إلى بعض ، والماء يجري من خلالها .
وقال الزائر متسائلاً :

- اظن أن عمق الماء لا يزيد على قدم واحد . ؟ اليس كذلك . ؟
ولكي يقيسه تناول عوداً من القش أرسله في اغوار الماء .
ولكن فجأة .. رفع رأسه وابتسم وقال :

- أمر غريب . !

ثم انفجر يضحك . !

وجرى "جوسوت" إلى الحوض وجعل يحملق فيه كأنما خطر له أن
اللس يمكن أن يكون مختبئاً بين الألواح وقال :

- هيه . ! ما الذي جرى . ؟ ما الذي يضحكك . ؟
وهتفت الأم "جوسوت" قائلة :

- هل اهتديت إليه . ؟ هل رأيته . ؟ واين هو . ؟
فقال الزائر وهو لا يزال غارقاً في الضحك :

- اطمئنوا إنه ليس بين الألواح ولا تحتها . !

وسار السيد الغريب إلى البيت وفي إثره "جوسوت" وزوجته . وكان
صاحب الفندق ونفر من أهل القرية قد حضروا إلى المزرعة وظلوا في
صمت وسكون يراقبون حركات الزائر .

قال الزائر وقد أشرق وجهه وعلت شفثيه ابتسامة خفيفة :

- كان الامر كما توقعت . ! لم يكن هناك مفر من أن يروي اللص ظمأه، ولما لم يكن هناك غير العين .

فقال "جوسوت" مقاطعاً :

- اسمع .. لو أنه جاء إلى العين لرايناه . !

- إنه لم يكن يطفى ظمأه إلا ليلاً .

- ولو .. لقد كنا أحرىء بأن نسمع وقع خطواته . بل لقد كنا أحرىء

بأن نراه أيضاً إذ كنا على قيد خطوات قليلة من العين .

- واللص أيضاً على قيد خطوات قليلة من العين . !

فقطب الأب "جوسوت" جبينه وقال :

- أكان يشرب الماء من الحوض ؟

- نعم ..

- كيف ؟

- بطريقة ما

- أية طريقة ؟

- هذا .

وبسط الزائر عود القش الذي التقطه من الأرض ليقيس به غور الماء واستطرد يقول :

- بواسطة هذا العود استطاع اللص أن يشرب الماء من الحوض .

تامله . إنه ليس عوداً واحداً وإنما هو عود طويل مؤلف في الواقع من ثلاثة أعواد تداخلت أطرافها . وهذا أول شيء استرعى بصري . ما الذي يدعو إلى إيصال هذه الأعواد الثلاثة بعضها ببعض ؟ هذا العود كما ترى دليل قاطع .

فقال "جوسوت" في شيء من الارتباك :

- دليل قاطع على أي شيء . !

وتناول الرجل الغريب بندقية على جدار الغرفة وقال :

- أهى محشوة ؟

فاجاب الأخ الأصغر :

- نعم .. وقد اعتدت أن اصطاد بها العصافير . إنها محشوة بالخرطوش فقط .

- حسنا .. إذن فلن يؤذيه الخرطوش ولكنه سيكشف لكم مخابه
ثم علت وجهه امارات الجد وقال في لهجة صارمة وقد اخذ بذراع
"جوسوت":

- اسمع يا "جوسوت" ! إنني لست بوليسا سريرا . وما جئت لأقبض
على السارق . ولهذا لن أَرْضَى مطلقا بأن يزج به في السجن .. وحسبه
قصاصة أنه امضى حبيسا في المزرعة اربعة اسابيع عانى في خلالها
آلام الجوع ونوبات الخوف وهذا عندي ابلغ عقاب يمكن أن ينزل به .
فعدني بشرفك انت واولادك انكم لن تتعرضوا له بسوء . وانكم لن
تسلموه إلى البوليس ..

- يجب أولا أن يعيد إلينا المال المسروق .

- بالتأكيد ، بالتأكيد ، هيا اقسما .

واقسم "جوسوت" واولاده .

وسار السيد الغريب صوب باب الحديقة ، ثم رفع بندقيته في حركة
سريعة وسدها إلى ناحية شجرة الفراولة واطلق النار .

ارتفعت صرخة حادة وسقطت إلى الأرض فزاعة الطيور ، ذلك
التمثال المصنوع من العصي والاقمشة على صورة الإنسان ، كان طيلة
الشهر الماضي معلقا فوق الغصن ؛ اما الآن فهو إلى الأرض ، على
أنه ما كاد يبلغها حتى انبعث واقفا وانطلق يجري .

نهل الحاضرون لما راوا .. تمثالا من القش والعصي والخرق
البالية، وتدب فيه الروح ويجري . !

وحين تبددت صدمة الذهول الاولى تصايح الحاضرون وانطلقوا
يركضون في إثر التمثال . ! وكان المسكين يتعثر في خطوه والخرق
البالية تعوق حركته ، فلحقه المطاربون ، ولكن قبل أن ينقضوا عليه
كان السيد الغريب قد خف إليه وبسط عليه حمايته ، وذاد عنه أبناء
الاب "جوسوت" .

- ارفعوا عنه ايديكم .. هذا الرجل لي . ! ولن اسمح لمخلوق بان يمد إليه يداً بالاذى . !

ثم التفت إلى «تمثال» الفزاعة وقال :

- ارجو ألا أكون قد أنيتك كثيراً يا «ترينارد» . !

وكان «ترينارد» واقفاً على ساقين لفتاً بالقش والخرق ، وكذلك كان شأن نراعيه . أما وجهه ورأسه فقد اختفيا وراء أكداش الخرق البالية التي لفهما بها ، فلو أنك نظرت إليه لما خطر لك إلا أنه تمثال الفزاعة ، وما كان لك أن تصدق أن هناك رجلاً قد اختفى داخل التمثال والقى على نفسه كساءه وخرقه ، وكان المنظر عجيبيًا وغير متوقع فلم يملك الحاضرون انفسهم من الإغراق في الضحك.

وازاح السيد الغريب الاقمشة التي يلف بها الرجل رأسه فأنكشفت عن وجه قنر ولحية بيضاء ، وتتوسط الوجه الهضيم الهزيل عينان تلتمعان بتأثير الحمى.

واشتد ضحك الحاضرين .

وصاح «جوسوت» مزجراً :

- أين المال ؟ أين الستة الآلاف فرنك ؟

فردّه السيد الغريب بإشارة من يده وقال :

- صبراً .. سنرد إليك مالك .. اليس كذلك يا «ترينارد» ؟

ثم تناول مبراته ومزق الخرق والقش وقال مازحاً :

- إن شكك يثير الضحك أيها الصعلوك . ! ولكن ليت شعري كيف

استطعت أن تعتمد إلى هذه الحيلة ؟ إنك موفور الذكاء متوقد الذهن .. أو أنك على الأقل مجتهد حسن الحظ .. لقد اغتنمت فرصة ضعف الرقابة في الليلة الأولى فالتقيت على نفسك أسمال الفزاعة .. فكرة رائعة والله . ! أكان ممكناً أن يخطر لأحد أن السارق قد استحال تمثالاً لإرهاب الطيور . ! إن العين تقع على هذا التمثال مئات المرات في اليوم فلم يخطر لأحد أن يطيل إليه النظر أو أن يفحصه . ! ولكن يا لك من مسكين . ! لا شك أن هذا الوضع المك .. طيلة هذين الأسبوعين وأنت

منطرح على الغصن فوق بطنك ، وذراعاك وساقاك متدلّية مرخاة . ! يا له من وضع . ! ويا له من عذاب .. ولشد ما كان يستولي عليك الفرع إذا ما حركت عفواً ذراعاً أو ساقاً . وليت شعري كيف يؤاتيك النوم وانت على هذه الحال ؟ وكان ينبغي أن تأكل ! وتشرب أيضاً . ! وما كان حالك وانت تشعر بالمراقبين على قيد خطوة منك وبنادقهم في أيديهم . ! ولكن اعجب حيلة لجأت إليها هي عود القش بلا نزاع ! لقد انترعت من القش الذي لفقت به جسدك بضعة أعواد أدخلت أطرافها بعضها في بعض حتى طالت وامتدت وبلغت حوض الماء ..

وبهذه الطريقة استطعت أن تغمس طرف العود في الحوض وتمتص الماء دون أن يشعر بك أحد أو يرتاب في امرك مخلوق . ! والله إنني لأشتهي أن أقبلك لفرط إعجابي بك . ! خدعة رائعة يا "ترينارد" ! ثم أردف يقول وهو يبتسم :

- ولكن مضى شهر كامل وانت لا تستحم ولا تغتسل .. إنك خنزير قذر .. لقد شربت واكلت .. وهضمت .. معدتك ما تناولت أوه .. ! دعوني أسد أنفي بأصبعي ، فإنني أشم لك رائحة نتنة .. خذوه أيها السادة فإنني ذاهب لأغسل يدي . !

وانقض "جوسوت" وابناؤه على الفريسة التي القيت إليهم وصرخوا فيه قائلين :

- أين المال الذي سرقت . ! اعد إلينا الأوراق المالية . ! حاول الصعلوك وهو في إعيائه وضعفه بأن يتظاهر بالدهش ، فصاح فيه "جوسوت" :

- دع التظاهر بالبلاهة فإنها لن تغني عنك شيئاً . ! هيا .. ابرز الأوراق المالية الستة . !

فقال "ترينارد" في صوت متلعثم :

- ماذا ؟ ماذا تريدون مني ؟ .

- المال .

- أي مال ؟ .

- الأوراق المالية .

- اية اوراق مالية . ؟

فصاح "جوسوت" :

- تبأ لك . ! لقد بدا صدري يضيق .. هيا يا اولاد ..

وانقض ابناؤه الاربعة على "ترينارد" وطرحوه ارضا ومزقوا ثيابه
ونزعوا عنه خرقة البالية وفتشوه . ولكنهم لم يجدوا شيئا .

وصاح "جوسوت" في حنق وغيظ :

- ايها اللص .. ايها الشرير .. ماذا فعلت بها . ؟

وبدا على ترينارد الاستغراب والدهش ، وراح يقول :

- ماذا تريدون مني . ؟ اي مال تبتغون . ؟ اني لا احمل ولا سنتيما
واحدا . !

ولكن عينيه لبتتا تطيلان النظر إلى ثيابه المكومة على الأرض ، وكان
يلوح عليه أنه لم يفهم .

ولم يستطع "جوسوت" ان يكتم غضبه ، فانهاه مع اولاده على
المسكين ضربا وركلا .. ولكن هذا العقاب لم يسفر عن اية نتيجة ، غير
ان "جوسوت" كان موقنا من ان "ترينارد" خبا المال قبل ان يتقمص
تمثال الفزاعة .

- اين اخفيتها ايها الشيطان . ؟ في اي ركن من الحديقة خباتها . ؟

فقال الصعلوك وامارات الغباوة ظاهرة على وجهه :

- المال . ؟

- نعم المال . ! المال الذي دفنته في مكان ما إذا لم نعثر عليه سلمناك
إلى البوليس . ولدينا شهود على ما فعلت . ! استشهدون معنا ايها
الأصدقاء . وكذلك السيد الذي كشف امرك . والتفت "جوسوت" إلى
ناحية عين الماء ، حيث كان السيد الغريب قد مضى ليغسل يديه .
وانهشه أنه لم ير السيد عند العين .

قال متسائلا :

- هل انصرف . ؟

فاجابه احد الحاضرين :

- كلا . لقد اشعل سيجارة ومضى يتريض في الحديقة .

فقال "جوسوت" :

- حسنا .. إنه وحده هو الذي يستطع أن يرشدنا إلى مخبأ الأوراق

كما أرشدنا من قبل إلى مخبأ الرجل .

فقال احد الحاضرين :

- إلا إذا ..

فقال "جوسوت" مردداً :

- إلا ماذا ؟ ماذا تريد أن تقول ؟ أفصح عما في ذهنك إن كان في

ذهنك شيء .. تكلم .. ماذا تريد أن تقول ؟ .

ولكنه امسك فجأة وقد طاف بذهنه خاطر مباغت ملا نفسه شكا

وأشاع الريبة في صدره . !

وطاف نفس الخاطر باذهان جميع القرويين الحاضرين . !

الم يكن الأمر غريباً ؟ وصول هذا السيد إلى القرية . وخلل

السيارة وأسلوبه في طرح الأسئلة على اصحاب الفندق . وطريقته

التي توصل بها إلى دخول المزرعة . !

اليست هذه الأساليب جميعها أسلوب رجل من كبار المحتالين قرا

تفاصيل الحادث في الصحف فابتدع هذه الحيلة ليؤنن له بدخول

المزرعة حتى يجرب حظه .. !

وأخيراً تكلم صاحب الفندق . نطق بما يجيش في صدور

الحاضرين:

- إنه والله رجل بارع الحيلة . ! لا شك أنه أخذ الأوراق المالية من

جيب "ترينارد" بين سمعنا وبصرنا وهو يفتشه دون أن نغتنم إلى

الأمر.

فصاح "جوسوت" :

- مستحيل . ! وإلا لغابر هذه المزرعة من هذه الناحية . من ناحية

البيت . قبل أن نتنبه إلى الأمر ونقبض عليه . ولكنه سار في هذا

الاتجاه ، إنه الآن يتريض في الحديقة . !

فقال الام 'جوسوت' تذكره :

- والباب الخلفي الصغير .. ؟

- مفتاحه معي لا يبرح جيبي .

- ولكنك أريته له .. ؟

- هذا صحيح .. غير اني استعدته منه على الفور ... وها هو ذا

معي ... في جيبي ..

ونس يده في جيبه ليخرج المفتاح .

ثم اطلق صرخة حادة .

- يا إلهي .. ! اختفى المفتاح .. !

وانطلق يجري في الحديقة وفي إثره ابناؤه ونفر من القرويين .

وما اجتازوا من الحديقة نصفها حتى بدا في اسماعهم نوي سيارة .

لا ريب انها سيارة ذلك السيد الغريب ... الم يأمر سائقه بان ينتظره

عند باب المزرعة .. ؟

وحين بلغ الرجال الباب طالعهم على الواحه الخشبية اسم مكتوب

بالطباشير بحروف كبيرة .

وكان هذا الاسم هو :

«أرسين لوبين»

وتحت الاسم بحروف صغيرة هذه الكلمات :

«إنك يا عزيزي 'جوسوت' شره بخيل وما فعلت في حياتك خيراً وما

اسديت إحساناً ولكن غداً سيصلك من إحدى الجمعيات الخيرية

خطاب شكر على مبلغ الستة الآلاف فرنك التي تبرعت بها للجمعية

وسيلقبونك بالمحسن الكبير . !

«الآن يمكنك ان تموت مطمئناً .. فستدخل الجنة .. !!»

«أرسين لوبين»

وكان 'جوسوت' خليقاً بان يشفي غليله لو انه استطاع ان ينتقم من

ترينارد العجوز . ولكن القرويين الذين حضروا الحادث شهدوا بان تفتيش المتهم لم يسفر عن شيء إذ لم يعثروا معه على الأوراق المالية فبراه القاضي من تهمة السرقة ولكنه حكم عليه بالسجن ثلاثة اشهر جزاء اعتدائه على الام جوسوت .

وحين اطلق سراحه وجد في انتظاره بباب السجن رجلا لا يعرفه .
ودفع الرجل إلى يد "ترينارد" بظرف فيه اوراق مالية قيمتها مائة فرنك .. والمائة فرنك عند رجل مثل "ترينارد" كنز عظيم .

وكان "ترينارد" سعيدا .

وكان 'لوبيين' سعيدا .

ولم يكن هناك من شقي محزون إلا 'جوسوت' وزوجته وابناؤهما
الأربعة .. !

* * *

الفصل الرابع

ساد القرية زعر وفزع .

وكان ذلك في صباح يوم أحد .

غادر فلاحو قرية (سانت نيكولاس) الكنيسة بعد ان قضوا ساعة يتعبدون . وانتشروا في ساحة القرية يقصد بعضهم إلى داره وبعضهم إلى عمله .. وكانت تتقدمهم امرأة .

وانعطفت المرأة يمينا متجهة صوب الطريق العام .

وفجأة تنحت عن طريقها وتراجعت إلى الخلف في حركة سريعة وقد اطلقت من فيها صرخات مدوية تدل على الياس والقنوط .

وفي نفس تلك اللحظة تراءت للابصار سيارة ضخمة .. سيارة هائلة الحجم .. انبعثت امامهم بغثة كائنها شيطان مريد انشقت عنه الأرض . وكانت منطلقة بسرعة خارقة كان الذي يتولى قيادتها مجنون لا يبالي بالأرواح والناس .. !

وانفرط الناس الذين كانوا يمشون صفوفًا متراسة .. وتناثروا في كل الأركان وقد اطلقوا صيحات مليئة بالفزع والياس .. تنحوا عن طريق السيارة وهم لا يصدقون انهم نجوا .

واتجهت السيارة في سرعتها الخارقة صوب الكنيسة .. وحين اوشكت أن تصطم بها وتتحطم على درجها انحرفت فجأة . واتجهت إلى ناحية البيت المقابل . وقبل أن ترتطم به انعطفت مرة أخرى واتخذت سبيلها إلى الطريق العام . ثم دارت حول منعطف الطريق . واختفت بنفس السرعة التي ظهرت بها والناس من حولها نهول مصعقون ينظرون ولا يتكلمون . وقد ادهشهم أن مرت السيارة إلى جوار هذه الجموع دون أن تمس أحدا منهم بسوء .

ولكنهم رأوا كل شيء .. !

رأوا في داخل السيارة رجلا جالسا إلى عجلة القيادة .. وكان الرجل متشحا بمعطف من جلد الماعز وعلى رأسه قبعة من الفراء . وفوق عينيه نظارة كبيرة سوداء من نظارات القيادة تحجب الشطر الأكبر من وجهه .

وراوا ايضا المرأة التي إلى جواره .
على المقعد الامامي .. إلى جانبه .. امرأة متهالكة .. رأسها ملقى
على مسند السيارة .. ووجهها غارق في الدم .
وكذلك سمعوا .. ! سمعوا صرخات رعب وفزع .. صرخات الم
وعذاب .. !

وجمد القوم في اماكنهم .. واجمين .. مذهولين .. كأنما ترائت
لأبصارهم صورة من صور الجحيم ..
غمغم احدهم يقول :

- دم .. !

وكان الدم في كل مكان .. !
في وسط الميدان .. على .. قارعة الطريق .. عند المنعطف .. على درج
الكنيسة .. !

وحين انطلق نفر من الرجال في إثر السيارة اتخذوا من الدماء
المتناثرة اثرا يهديهم إلى الطريق الذي يبتغون ..

وكان جليا ان السيارة انطلقت في الطريق العام .. ولكنها اتخذت في
سيرها طريقا عجيبا .. كانت تسير من جانب إلى جانب في خط
متعرج .. كانت آثار العجلات المنطبعة على الأرض .. متعرجة بشكل
اثار فزع من راها .. في كل خطوة موت مترصد .. !

عجبا .. كيف استطاع قائد السيارة ان يتفادى الاصطدام بهذه
الشجرة .. ؟ وكيف تمكن من الانحراف بسيارته في اللحظة المناسبة
قبل ان تهوى إلى الخندق .. ؟

اي شيطان هذا الرجل الذي يقود السيارة .. ؟ اي مجنون معتوه .. !
اي سكران فاقد الرشد .. ! بل اي مجرم فزع خائف يقود سيارته على
هذا النحو من الانعطافات والالتواءات .. ؟ !

وقال احد الفلاحين :

- لن تجدي قيادة السيارة بهذه الطريقة في الغابة .. !

وقال آخر :

دون شك .. إنها جديرة بان تنقلب وتتهشم .. !
وتقع غابة (مورج) على مسافة ثمانمائة متر من القرية .. والطريق

فيما بين الغابة والقرية مستقيم لا ينعطف إلا مرة واحدة انعطافا خفيفا متراجا ، ولكنه حين يبلغ الغابة يتخذ رسما آخر . فتراه قد انعطف فجأة انعطافا حادا وتغلغل بين الصخور والاعشاب ، وما من سيارة استطاعت أن تدور في هذا المنعطف إلا بعد أن تهدئ من سرعتها تهدئة كبيرة تدنيها من السكون .. وقد اقامت البلدية عند هذه الناحية علامات تحذر بها السائقين من الإسراع تفاديا من الخطر الذي يهددهم .

وانتهى الفلاحون إلى رأس الغابة وهم يلهثون تعباً وقد تقطعت انفاسهم لفرط ماركضوا .

وصاح أحدهم :

أرايتم مصداق قلبي .. !

- ماذا .. ؟

- انقلبت السيارة .. !

وفعلا كانت السيارة الليموزين منقلبة على جانبها وقد تهشمت وتداخلت أجزاؤها بعضها في بعض حتى اختلط شكلها وكانت تختفي معالمها .

وإلى جانبها جثة المرأة . !

على أن الشيء الذي أثار اشمئزاز الحاضرين .. الشيء الذي أهاج رعبهم وملا قلوبهم فزعا ، إنما كان رأس المرأة . !

كان رأسها مهشما .. مسحوقا .. تحت حجر ضخم .. حجر ثقیل هائل كانما رفعته قوة شيطانية ونقت به رأس المرأة المسكينة ...

أما الرجل الذي كان يتولى قيادة السيارة .. الرجل الذي يرتدي معطفا من جلد الماعز .. فلم يكن له في المكان أي أثر .

لم يهتدوا إلى أثره في مكان الحادث .. ولم يهتدوا إليه في المواضع المجاورة .. واغرب من هذا أن نفراً من العمال كانوا قادمين من الناحية المقابلة قرروا أنهم لم يلمحوا الرجل ولم يلتقوا به في طريقهم إنن فقد اختفى الرجل في الغابة .. لاذ بها وتوارى في أرجائها . وانطلق رجال الشرطة في أنحاء الغابة .. يفتشون وينقبون يساعدهم نفر من الفلاحين ، ولكن التوفيق أخطاهم فلم يعثروا له على أي أثر .

وجاء قضاة التحقيق ورجال النيابة واشرفوا على البحث بانفسهم وبعد ثلاثة ايام في بحث متواصل لم يقعوا على شيء جديد ، يمكن ان يلقي ضوءاً على هذه المأساة العجيبة . بل إن هذه الأبحاث المتواصلة كانت على النقيض مفضية إلى مضاعفة الإيهام وزيادة اللغز تعقيدا . وثبت من التحقيق ان الحجر الهائل الذي سحق به رأس المرأة إنما جيء به من منحدر التل الذي يبعد عن مكان الحادث أكثر من ستة وثلاثين مترا . وقد استطاع القاتل ان يحمل الحجر الثقيل كل هذه المسافة في خلال دقائق قليلة ثم يهشم به رأس ضحيته .

وبعد ثمانية ايام من الحادث وقع حادث غريب .. لم تكن هناك ريبة في ان القاتل ليس مختفيا في الغابة . فلو انه كان فيها لهان العثور عليه وهي صغيرة محدودة المساحة . ولكن بعد الايام الثمانية كان للقاتل من الجراءة والجسارة ما جعله يحضر إلى رأس الغابة ويخلع معطفه المصنوع من جلد الماعز ويتركه هناك .

فلماذا فعل ذلك ؟ .. ولأي غرض ؟ ..

لم يكن في جيوب المعطف شيء غير بريمة وفوطة .. فما معنى هذا كله .. !

أي سر ينطوي تحت البريمة والفوطة والتخلي عن المعطف ؟ .. اتصل رجال البوليس بالشركة التي صنعت السيارة فعرفوا انها بيعت منذ ثلاثة اعوام إلى رجل روسي . وقرر مدير الشركة ان الروسي باعها بدوره إلى شخص لا يعرفه .. فمن هو المشتري الثاني ؟ .. سؤال لم يدر احد له جوابا . فقد كانت السيارة منزوعة الرقم . وكان مستحيلا أيضا التعرف على شخصية المرأة القتيل .

هشم الحجر معالم وجهها حتى اختلط اللحم بالدم بالعظام .. اما ثيابها فكانت كثياب سواها من النساء . فلم يكن فيها أي اثر يهدي إلى صاحبها .

وشرع رجال البوليس يوجهون ابحاثهم إلى ناحية أخرى .. انطلقوا في الطريق المضاد الذي سارت فيه السيارة ومضوا يسألون الناس ويستجوبونهم .. ولكن איستطيع أحد أن يقرر ان السيارة كانت في الليلة الماضية قد اتخذت هذا الطريق ؟ ..

فحصوا كل شبر من الأرض .. واستجوبوا كل إنسان . ١

وأخيرا .. بعد تحريات دقيقة متواصلة استطاعوا ان يعرفوا ان سيارة ليموزين وقفت في مساء السبت امام حانوت بقال في قرية صغيرة تبعد ثلاثمائة وعشرين كيلومترا من (سانت نيكولاس) وعند مفترق يتشعب من الطريق العام . ولقد ملا السائق خزان السيارة بالبنزين كما ابتاع بضع صفائح إضافية . وكذلك ابتاع كمية من الخبز: قطعة من اللحم وفاكهة وصنوقاً من البسكويت ونصف زجاجة من الشراب من طراز النجمة .

وكانت هناك امرأة جالسة على المقعد الامامي للسيارة إلى جوار السائق . وقد لزمت مقعدها لا تبرحه . وكانت ستائر المقعد الخلفي مسدلة ولكنها كانت تهتز ما بين لحظة وأخرى . وكان البقال موقنا من ان هناك شخصا ما جالسا في المقعد الخلفي .

فإذا سلمنا باقوال البقال اشتد اللغز تعقيدا وتضاعف ما يكتنفه من الإيهام. إذ لم يسفر التحقيق عن أي أثر يمكن أن يدل على وجود شخص ثالث خلاف السائق والمرأة .

ولما كان السائق قد ابتاع ملونة للطعام ، فقد انصرفت همه المحققين إلى اكتشاف ما صارت إليه هذه الملونة .. وما الذي فعلوه بها ؟ وشرع رجال البوليس السري يبحثون من جديد في المنطقة الواقعة بين حانوت البقال وقرية (سانت نيكولاس) .

وإذا صاروا على مسافة تسعة عشر كيلومترا من القرية .. على رأس مفترق طريقين .. لقوا راعيا أرشدهم إلى حقل قريب تحجبه عن الأبصار اشجار ملتفة ، ذاكراً لهم انه رأى في الحقل زجاجة فارغة وبقايا طعام .

ولم يداخل الشرطة السريين أي شك فيما يسعون إليه .. نعم .. وقفت السيارة في هذا المكان .. وفي الصباح تناولوا فطورهم ثم تابعوا رحلتهم وكان الدليل الحاسم نصف زجاجة الشراب طراز النجمة التي باعها البقال إلى سائق السيارة .. كانت الزجاجة مكسورة بدقها بحجر اطار عنقها .. وعثرت الشرطة على الحجر الذي استعمل في تهشيم الزجاجة . كما عثروا على العنق ، والسدادة

المصنوعة من القصدير لا تزال مثبتة فيها . وكانت هناك علامات تدل على أن محاولة بنلت لانتزاع السدانة بالطريقة المألوفة .

وواصل رجال الشرطة أبحاثهم حتى انتهوا إلى خندق يحاذي الحقل ويتصل بالطريق العام وينتهي بنبع ماء صغير تخفيه أشجار ملتفة .

وملات خياشيمهم رائحة نكتة ، فازاحوا الأشجار فإذا بهم يرون تحتها جثة ..

جثة رجل هشم رأسه تهشما حتى استحال شببها بقطعة من العجين !

وكانت ثياب القتل مؤلفة من جاكطة وينطلون أسودين ، وكانت الجيوب فارغة ليس فيها ورقة أو بطاقة أو ساعة !

ودعي البقال ومساعد .. واستطاعا بالرجوع إلى الثياب أن يقررا أن القتل هو سائق السيارة (الليموزين) الذي ابتاع البنزين والمثونة مساء يوم السبت المعهود .

وهكذا فتفتحت للبحث نواح جديدة واتخذ التحقيق وجهة أخرى : لم تعد نظرية المحققين قائمة على أن عماد الماساة رجل وامرأة قتل أحدهما صاحبه ، وإنما انقلب الأمر فصار أبطال الفاجعة ثلاثة : امرأة ورجلين وقد قتل أحد الرجلين صاحبه ثم ثنى بالمرأة .

ولم يكن هناك شك في أن القاتل هو ذلك المسافر الثالث الذي كان جالسا في المقعد الخلفي من السيارة .. ذلك الرجل الذي كان يحرك ستائر السيارة حركة أوقعت في روع البقال أن هناك شخصا في الجزء الخلفي من السيارة .

لقد قتل السائق وافرغ جيوبه وأصاب المرأة بجرح وحملها معه في السيارة إلى .. إلى الموت !

* * *

إذا ما أسفر التحقيق في إحدى القضايا عن اكتشافات جديدة ، وإبلة غير منتظرة ، وقع في روع المحققين أن الحقيقة أوشكت أن تتكشف وأن معميات اللغز ستتبديد ، ولكن لا ، بل ذلك وهم لا أثر له من الصحة !

لم يزد الأمر على أن وضعت الجثة الثانية إلى جانب الجثة الأولى !
باكتشاف جثة القتيل اضعف لغز جديد إلى اللغز القديم ، وارتفعت
التهمة عن كاهل شخص فوقعت على كاهل شخص آخر ، وكان هذا كل
شيء .

فبخلاف هذه الوقائع والاكتشافات المادية الثابتة لم يكن هناك غير
ظلام دامس .. طلاس معقدة لا سبيل إلى استكناه أسرارها :

ما اسم المرأة القتيلة ؟

ما اسم الرجل القتيل ؟

ما اسم القاتل ؟

كل هذه أسئلة دارت في خاطر دون أن يحير عنها جوابا !
وماذا صار إليه امر القاتل ؟ كيف استطاع أن يختفي بمثل هذه
السهولة ؟

اليست هذه ظاهرة تثير الاستغراب ، ولقد كانت في الواقع ظاهرة
أدنى إلى المعجزات ! لقد اختفى ولم يختف .. هرب ولم يهرب ، الم
يعد بعد أيام إلى مكان الحادث فيخلع معطفه ويتركه هناك ؟

على أن هذه الرجعات قد تكررت .. في المرة الأولى ترك معطفه ، وفي
المرة الثانية ترك قبعته المصنوعة من الفراء ، وفي المرة الثالثة ترك
نظاراته وكانت مهشمة يعلوها الطين ، وكانت هذه أغرب زيارته الثلاث
لقد أمضى رجال البوليس ليلة يقظة عند الصخرة القائمة على رأس
الغابة ، وفي الصباح انهشهم أن يروا النظارة عند منعطف الصخرة !

فكيف جاء القاتل وانصرف دون أن يروه أو يشعروا به ؟

واهم من هذا كله : لماذا حضر ؟

حار الناس في الأمر .. وما تريدت هذه القصة إلا وسرت رعدة في
أبدان السامعين والمتكلمين .. كانوا يشعرون جميعا بأن هناك شيئا
خارقا .. شيئا شاذا .. يسيطر على الموقف .. ليكون القاتل شيطانا !
ولقد نزل المرض بالقاضي الذي يتولى التحقيق فاعتزل العمل .
وبعد أربعة أيام أعلن سلفه في صراحة أنه عاجز عن إزاحة معميات
هذا اللغز .

وقبض على صعلوكين . واطلق سراحهما في الحال ! وروقب

صعلوك ثالث ولكنه لم يعتقل . لم يكن هناك اي دليل ضده .. بل لم تكن هناك شبهة من دليل !

وقصارى القول إنها كانت قضية معقدة . مربكة .. محيرة .. كانت لغزاً مربكاً .

ولكن كلمة عارضة كانت سببا في فك التلاسم . او بعبارة اخرى . كانت سببا في سلسلة من الحوادث افضت إلى حل اللغز . فقد اوفنت إحدى صحف باريس الكبرى احد محرريها إلى مكان الحادث لدراسة ظروفه فكتب الشاب مقالا اختتمه بهذه الجملة :

« وهانذا اكرر القول بانه لا مفر لنا من الانتظار . ينبغي ان ننتظر ظهور حوادث جديدة وحقائق جديدة . يجب ان ننتظر حادثا يميظ اللثام عن هذه الاسرار الغامضة . اما الحال على ما هي عليه الآن فكل بحث جديد إنما ينطوي على تضيق للوقت . إن الحقائق الراهنة التي لدينا لا تصلح حتى لإبداء فرض معقول . فنحن في ظلام دامس ، ظلام يكتنفنا من كل ناحية ويأخذ علينا المسالك .

الآن لا مجال للعمل .. ولا مجال لبحث جديد .. ولو ان "شرلوك" نفسه تولى بحث هذه القضية لعاد بالإخفاق والخيبة . وإننا نذكر جميعاً ما أبداه "أرسين لوبين" من براعة وحذق عجيبين في إماطة اللثام عن لغز ذلك اللص الخفي الذي سرق الستة آلاف فرنك من المزارع "جوسوت" .. نعم .. نذكر ما فعله "لوبين" بالإعجاب . ولكن فليظهر لنا براعته في هذا الحادث إن شاء .. إنني اتحداه بانه سيقف عاجزاً مكتوف اليدين أمام هذا اللغز ... !

نعم .. إنني اتحدى "أرسين لوبين" .. وإنني لموقن بانه سيفر هاربا من هذا التحدي .. »

بهذه الكلمات التي جاءت عفواً اختتم المحرر مقاله .

وفي اليوم التالي نشرت هذه الصحيفة بالذات البرقية التالية :

« كثيرا ما قبلت التحدي الذي يوجه إلي .. ولكن من العار ان أقبل التحدي في امور تافهة حقيرة كالذي نحن بصده .. إن مأساة غابة (مورج) ليست لغزاً إلا عند الأطفال .

"أرسين لوبين"

وعقب المحرر على هذه البرقية بقوله :

« إننا ننشر هذه البرقية على سبيل التفكه فإن من الجلي انها مدسوسة على "أرسين لوبين" .. لسنا ننكر ان "لوبين" ولوع بالمزاج العملي ولكننا نعتقد انه أبعد الناس عن مثل هذا الإبداء والغرور ، وبعد يومين نشرت نفس الصحيفة خطابا مطولا مسهبا من "أرسين لوبين" .

وفي هذا الخطاب اماط لوبين اللثام عن اللغز . ويسط نظريته في جلاء .

وأدلى بما سد الثغرات المفتوحة .

وهذا هو نص الخطاب بحذافيره :

« سيدي العزيز :

لقد تحدثني فعرفت كيف تثيرني وتدفعني إلى العمل . ! هذه هي ناحية الضعف مني ، لقد تحدثني .. وإني لقابل هذا التحدي .

واستهل حديثي بان أكرر عليكم قلوي : إن ماساة غابة (مورج) ليست لغزاً إلا عند الأطفال .. ! والدليل على بساطته .. سيبدو لكم حين أشرح الظروف والملابسات المختلفة للحادث .

واستطيع أن أجمل رأيي في هذه العبارة : إذ بنت إحدى الجرائم في نظرنا شاذة خارقة للمعقول .. بنت محيرة لا يمكن أن تصدر عن إنسان وإذا بدا المعقول منحصرأ في الأخذ بغير المعقول . فلنعمد في تفسيرها إذن إلى بواعث تخرج عن نطاق القدرة البشرية .

استرعت بصري منذ البداية هذه الظاهرة العجيبة المرتكزة على الشنوذ ..

فلدينا أولا ذلك الخط اللتوي المتعرج الذي اتخذته السيارة في سيرها . حتى ليقع في الانهزام أن الذي كان يتولى قيادتها مبتدئ لا يحترف فن القيادة .

ولقد ظن بعض الناس أن سائق السيارة إما مجنون أو سكران . وهذا في ذاته افتراض معقول ... ولكن لا الجنون ولا السكر يمكن أن يعدا تعليلا معقولا لهذه القوة الخارقة التي أبداهما القاتل في حمل حجر هائل مسافة ستة وثلاثين مترا وفي خلال دقائق قليلة ليهشم به

راس المرأة المسكينة .

هذه العملية تقتضي قوة بدنية خارقة .. ولذلك لا اتردد في ان اعد هذه الظاهرة بليلا ثانيا على ما يلابس هذه الماساة من شنوذ وخروج على الاوضاع الطبيعية المألوفة .

ولماذا يجشم القاتل نفسه مؤونة نقل هذا الحجر الهائل ليجهز به على الضحية وقد كان في وسعه ان يحقق ما يصبو إليه باستعمال اي حجر من الاحجار الصغيرة المتناثرة حوله .. ؟

وثمة سؤال آخر لابد من طرحه : كيف نجا القاتل من الموت بعد ان انقلبت السيارة ودارت على نفسها اكثر من مرة ؟ !! وكيف اختفى .. ؟ ولماذا خلع معطفه وتركه مكان الحادث .. ؟ ولماذا ترك قبعته في يوم آخر .. ؟ ثم نظارته في يوم ثالث .. ؟

كلها اعمال خارقة غير عادية ... اعمال غريبة لا نفع فيها .. ؟ ولماذا اجلس المرأة بجواره على عجلة القيادة وهي غارقة في بئسها والناس جميعا يرونها ... وقد كان في وسعه ان يجلسها على المقعد الخلفي والستائر مسدلة فلا تقع عليها عين .. او كان في وسعه ان يقذف بها إلى الخندق كما فعل بالقتيل . ؟

للمرة الثانية اكرر القول بان هذا التصرف من القاتل ينطوي على غباوة عجيبة .. وهو بعد عمل لا نفع فيه إن لم يكن محققا للضرر ..

فكل ناحية من نواحي هذا الحادث مطبوعة بطابع السخافة والغباوة .. كل ظاهرة فيها تشير إلى ما كان يعرف القاتل من تردد .. وغباوة .. وسخافة .. إن له بلاهة كبلاهة الاطفال او المعتوهين .. ووحشية تشبه وحشية الحيوانات الضارية .

فلننظر مثلا إلى زجاجة الشراب .. لدى القاتل بريمة يستطيع ان يزيل بها سداة الزجاجة .. لقد عثروا على البريمة في جيب المعطف المصنوع من جلد الماعز .. فهل استعملها القاتل في رفع السداة . ؟

نعم استعملها .. وأية ذلك انهم وجدوا بالسداة اثارا تدل على ان هناك محاولة بذلت لرفعها بالطريقة العادية المألوفة .. ولكن عملية إزالة السداة كانت بالنسبة إلى القاتل معقدة مربكة فما كان منه إلا ان هشم عنق الزجاجة بقطعة من الحجر .

دائما الحجر .. أرجوكم ان تلقوا بالا إلى هذه الظاهرة .. الحجر هو سلاحه الوحيد .. يقتل به ضحاياه .. وبه يزيل أعناق الزجاجات .. إنه السلاح الوحيد الذي يحسن استعماله .. السلاح المألوف لديه .. قتل الرجل بحجر .. وقتل المرأة بحجر .. وأزال عنق السدادة بحجر .. ! ظاهرة جديدة بالالتفات .

إنه وحش .. إنه متوحش .. عقل ملثو مرتبك .. عراه فجأة الجنون . ! فما السبب ؟ . الشراب دون شك هو السبب .. فبينما كان السائق وزميلته يتناولان الفطور في الحقل احتسى القاتل زجاجة الشراب .. احتساها جرعة واحدة فافقته الصواب .. خرج من السيارة وهو مرتد معطفه بعد ان أعياء فتح الزجاجة وهشم عنقها على حجر وشربها . تلك هي القصة كلها .

أفقدته الشراب الصواب فراح يضرب .. ويهشم .. ويحطم .. بلا تعقل ولا روية ولا سبب .

ثم استولى عليه الخوف .. انرك مغبة عمله .. عرف ان القصاص سيناله .. فما كان منه إلا ان أخفى جثة الرجل في الخندق . وكوالاغبياء البلهاء حمل المرأة الجريحة معه في السيارة وانطلق هاربا .

لم يكن يحسن قيادة السيارة .. ولكن السيارة في نظره كانت تمثل الأمن والنجاة .. كانت رمزا للفرار والسلامة .

والآن قد يطرح بعضكم هذا السؤال : والمال المسروق ؟ .. المحفظة المختفية . ! لقد وجدت جيوب القتيل فارغة مقلوبة . ! وجوابا عن هذا السؤال أقول : إنه ليس من المحتم ان يكون القاتل هو نفسه اللص الذي سرق جيوب القتيل .. ! الا يجوز ان يكون السارق صعلوكا شم الرائحة النتنة المنبعثة من الجثة فسار إليها واستولى على ما في جيوبها ؟

قد يقول أحدكم : ولكن لماذا لم يقبض على القاتل ما دام مختبئا في الغابة على مقربة من الصخرة . ؟ وكيف يختبئ طيلة هذه المدة وهو في حاجة إلى الطعام والشراب . ؟

ويلوح لي من توجيهكم لي هذا السؤال انكم لم تفهموا حق الفهم ما اعني .. ولذلك اؤثر ان اوجز لأصل إلى الهدف مباشرة بلا لف ولا دوران .. فليتكرم سائتنا رجال البوليس بالأخذ بنصيحتي .
ابحثوا عن هذا الوحش .. في الغابة .. ويكفي ان تبحثوا على بعد مائة متر من الصخرة ..

ولكن لا تبحثوا في الأرض ، وإنما في السماء . !!
نعم . لا تمشوا وعيونكم إلى الأرض وإنما ارفعوها إلى السماء .
لا تنظروا فوق الاغصان القريبة الدانية التي يستطيع الإنسان ان يتسلقها بسهولة وإنما انظروا إلى الاغصان الباسقة العالية التي لا يبلغها الإنسان مهما يحاول .. ثم ارموا بابصاركم إلى أعلى اشجار البلوط والصنوبر . هناك ستجدون الوحش القاتل مختبئاً .
إنه هناك .. قابع .. حزين .. ينتظر دون ان يفهم عودة صاحبيه .
عودة المرأة والرجل اللذين قتلها في ساعة من ساعات الجنون ..
ينتظر دون ان يجرؤ على الهبوط إلى الأرض .
واعلموا انه لن يهبط من تلقاء نفسه .. فاحملوا معكم مسدساتكم واطلقوا عليه النار ولكن لا تقتلوه فإنه مسكين غبي ابله يستحق منكم الرحمة :

«يؤسفني ان لدي من دواعي العمل ما يضطرني إلى البقاء في باريس وإلا لأسهمت بنفسي في اكتشاف مخبا القاتل ، ولكني موقن بان البحث اصبح هينا بعد ما تكرت ، فإذا تكرم سائتي رجال البوليس باتباع مشورتي ظفروا بالقاتل في خلال ساعة او ساعتين .
«المخلص : ارسين لوبين»

* * *

ولكن « سائته رجال البوليس » لم يتكرموا باتباع هذه المشورة بل استهانوا بالأمر إلى درجة جعلتهم يسخرون من المقال وكاتب المقال وقد وقع في روعهم انه يريد ان يهزا بهم .
غير ان نفراً من اهل القرية اخذوا بهذا النصيح .. حملوا بنابقهم ومضوا إلى الغابة وطفقوا يبحثون .. بحثوا وعيونهم إلى السماء وليست إلى الأرض .. وكانوا يطلقون الرش بين الاغصان الملتفة

المتشابكة التي لا سبيل إلى اكتشاف ما يختبئ في داخلها .

وبعد نصف الساعة راوا القاتل .

أطلقوا عليه رصاصتين فهوى من غصن إلى غصن حتى استقر على الأرض .

ولم تكن الرصاصتان قاتلتين فأخذوه حياً ! .

وفي مساء ذلك اليوم ظهرت إحدى صحف باريس التي لم يبلغها خبر اعتقال القاتل وفيها هذه الفقرة :

«بذل البوليس أقصى جهده في البحث عن مسيو ومدام 'براجواف' اللذين وصلا إلى (مرسيليا) منذ ستة أسابيع واستاجرا سيارة من طراز (الليموزين) ليستعملها في تنقلاتهما وإسفارهما ، وكانا قبل ذلك يقيمان في استراليا ، وقد أمضيا فيها بضعة أعوام لم يزورا في خلالها أوروبا .

وقد كتب مسيو 'براجواف' إلى مدير حديقة الحيوان ينبئ به بقبومه ، ويخطر به أنه أتى معه بمخلوق عجيب من نوع نادر مجهول يتعذر على المرء أن يقرر إن كان إنسانا أو حيوانا .

«ويعتقد مسيو 'براجواف' الذي يعد من كبار علماء الآثار القديمة أن هذا المخلوق هو القرد المنقرض .. أو بعبارة أخرى «الإنسان القرد» الذي تتحدث الأساطير عن وجوده دون أن يقوم على ذلك برهان علمي قاطع . !

وهذا الحيوان نكبي دقيق الملاحظة ، وكان يقوم بخدمة مولاه في أثناء إقامته في استراليا ، كما اعتاد أن ينظف سيارته ، بل لقد حاول أن يتعلم قيادتها .

«والسؤال الآن هو : أين مسيو ومدام 'براجواف' ؟ لقد غامر (مارسيليا) ولكنهما لم يصلا إلى باريس بعد ، وأين هذا المخلوق العجيب الذي بين الإنسان والحيوان ، إذ من الثابت أنهما جاءا به معهما .

هذا وسنوافي القراء بما تسفر عنه أبحاث البوليس في هذا الصدد .

ولكن الجواب على هذا السؤال أصبح هينا بعد الخطاب الذي أذاعه

"ارسين لوبين" فالقاتل والمخلوق العجيب واحد ، ام ينبغي ان نقول حيوانا واحدا ، .. ؟ ولو انك ذهبت إلى حديقة الحيوان في باريس لرأيت الوحش قابعا في احد الأقفاص وقد لقبوه «بالنجمة» نسبة إلى زجاجة الشراب التي من طراز النجمة والتي كان احتساؤه لها سببا في هذه المفاجعة .

وهو في الواقع قرد ، ولكن له من خلق الإنسان وطباعه الغر والخيانة والقسوة والكسل والشره وحب المشاكسة .

وهكذا أصاب "لوبين" في استنتاجاته .. إن تصرفات القاتل تنطوي على وحشية وبلاهة وقلة تبصر .. تصرفات حمقاء قاسية لا يمكن أن تصدر عن إنسان عاقل .. وهو بعد لا يمكن أن يكون إنسانا ، إذ امتاز بتلك القوة الجبارة التي مكنته من أن يحمل الججر الهائل مسافة كبيرة على حين لا يقوى على حمله أقل من .. ستة رجال فهو إذن وحش افلت من عقاله وافقده الشراب الصواب .

لقد اضاف "لوبين" بإماطته اللثام عن هذا اللغز مجداً إلى مجده السابق ، مجداً أقرت به جميع الصحف بلا استثناء ، واعترف به كل إنسان عدا .. عدا "جانيمار" و"بيشو" !

والصداقة بين "جانيمار" و"بيشو" من ناحية و"ارسين لوبين" من ناحية أخرى مضرب الأمثال !

الفصل الخامس

جيدو ماسكيه اسم اقترن بغرابة الأطوار ، وشذوذ الطباع ، والإقدام على أعمال لا يمكن أن توصف إلا بالحماسة وسوء التصرف . فمن ذلك أنه انطلق مرة بسيارته في شوارع الحي اللاتيني بسرعة لا تقل عن حوالي ٦٦ كم .. وهي غاصة بالسابلة .. مزدحمة بالخلق .. فبتر سيقان اثنين من المارة .. وهشم مصباحا وعربة .. وسيارته .. ! ودافع عن نفسه بأنه كان ثملا .. ولكن لم تكن هناك ريبة في أنه كان صاحبيا مستقيقا حين انتشلوه من تحت حطام السيارة سليما معافى فلم يغن هذا الدفاع عنه شيئا .

وعلى الرغم من تضارب التقارير الطبية حكم عليه بالسجن قاض عنيد قاسي الفؤاد .. ورفع جيدو ماسكيه استئنافا عن الحكم .. ومثل أمام محكمة الاستئناف ينصره نفر من اكبر المحامين .. فاستطاعوا بالبلاغة والمنطق .. والتهويش ايضا .. أن يلغوا الحكم الابتدائي ويظفروا بالبراءة .

وانتصر جيدو ماسكيه . وهناه الناس .. وقد نسوا أنه ازهق أرواحا .

وتعرف البيئة المسرحية بأنه نصير الممثلين .. والممثلات بنوع خاص .. وقد اعتاد أن يقيم لأبناء المسرح وبناته مآذب متعددة في شتى المناسبات تسهب الصحف في وصفها والإشارة بالداعي إليها .. ولكن المطلعين على بواطن الأمور يؤكدون لك أنه اعتاد أن يقيم مآذب أخرى لا تشير إليها الصحف بكلمة واحدة .. مآذب لا يدري أحد عنها شيئا .. مآذب لا تدعى إليها غير ممثلة واحدة : ! ويقال : إن هناك ظاهرة عجيبة تحدث في جميع هذه المآذب السرية .. وتلك الظاهرة هي أن يصاب جهاز الإضاءة بالعطب .. فإذا بالأنوار تنطفئ فجأة .. ويظل الداعي وصاحبه في الظلام . !

وفي إحدى الليالي وقعت مأساة كان جيدو ماسكيه بطلها . لقد كتم البوليس الفرنسي تفاصيل الحادث عن الصحف والناس ، ولكنه لم يستطع أن يكتم نبا مصرع الراقصة الحسنة التي وجبت

صريعة على الإفريز امام احد الفنادق .. إذ يؤكدون للصحف أن الراقصة أخطأت .. فحسبت أن النافذة الكبيرة المصنوعة على الطراز الفرنسي بابا مفضيا إلى غرفة أخرى ، ودخلت، فهوت إلى الإفريز . ١
ولكن الشيء الغريب أن أحداً من المحققين لم يكلف خاطره بأن يطرح هذا السؤال : وكيف تخطت الفتاة سياج النافذة ؟ ١٠ ربما ظنت النافذة بابا ، ولكن كيف لم يردها السياج القائم في طريقها إلى الصواب ؟ .

سؤال واضح .. سؤال بديهي .. كان ينبغي أن يطوف بخاطر المحققين .. ولكنهم غفلوا عنه .. غفلوا عنه إكراما لخاطر «جيدو» ماسكيه» . ١ .

غير أن «أرسين لوبين» لم يغفل . ١
كان «أرسين لوبين» نازلا في نفس الفندق .. فشهد الحادث بنفسه قبل أن يطالع تفاصيله في الصحف .
وبطبيعة الحال لم يكن «لوبين» نازلا في الفندق تحت اسمه الحقيقي ..

كان ينتحل اسما آخر يستحيل على «جانيمار» و«بيشو» أن يكشفوا حقيقة .

وحفظ التحقيق بعد بضع ساعات . ونسي «جيدو ماسكيه» أنه كان السبب في هلاك هذه الراقصة الحسنة .. بل لقد نسي كل شيء عن الحادث ، ولم يعد يذكره إلا كما يذكر الإنسان حلما بعيداً مضطرباً .
غير أن «لوبين» لم ينس .

ورجع «جيدو» إلى إقامة مآبته وحفلاته لبنات المسرح وابنائهم ورجع إلى لهوه ولعبة .. ورجع إلى حياة العريضة التي ألفها .
وعلى مضض سكت الناس عن سيئاته واغضوا .. وكثيراً ما يغضى الناس عن سيئات أصحاب الملايين .. ولقد كان «جيدو» من أصحاب الملايين .

* * *

في صباح يوم من أيام شهر نوفمبر حمل الخادم إلى «جيدو» ماسكيه» طعام الفطور على صينية مطعمة بالذهب ، وضعها على

منضدة صغيرة إلى جانب الفراش .

وكان فوق الصينية خطاب يحمل طابع لندن .. وفي ركن منه هذه الجملة :

خاص - لا يجوز فضه بمعرفة السكرتير،

وانتصب "جيدو" جالسا في الفراش .. ورد شعره إلى الوراء ..

وتناول الخطاب فقلبه بين يديه وهو يتنأب . ثم أضاء من فمه يشمه ، خطاب خاص . ؟ ولا يجوز فضه بمعرفة السكرتير . ؟ إنه إن من امرأة ..

أمرأة تحرص على الا يطلع على سرها المفضوح سكرتير "جيدو" . !

ولكن الخطاب لم يكن معطراً . ! ولم يكن من امرأة . !

لم يكن في داخل الغلاف إلا قطعة صغيرة من الورق كتبت عليها بضعة سطور بالآلة الكاتبة .

وكان هذا نصه : -

"في يوم ١٨ أكتوبر ذهبت إلى (ليون) ونزلت في فندق «بارسيل» وكان في رفقتك جماعة من الأصدقاء . وكان مع هذه الجماعة راقصة فرنسية في عنفوان شبابها لم تكن على علم بما طبعت عليه من خلق اليم .

وقد اضطرت المسكينة أن تنتحر فراراً منك . فراراً من مغاللاتك الأليمة المجرمة . ! لقد أقت بنفسها من نافذة الفندق فبلغت الأرض جثة هامة . ! وأغلب ظني أنك حاولت الاعتداء عليها أو تقبيلها كرها فرمت بنفسها إلى الطريق وأثرت الموت .

لو كان في هذه الدنيا إنصاف حقيقي لأرسلك القضاة إلى المشنقة ولكنهم تستروا عليك وتكتموا أمرك لأنك من أصحاب الملايين .

ولكني لن أتستر عليك .. ! فأحذر أن أقوم مقام العدالة . !

"أتعرفني . ؟ يحتمل ألا تكون قد سمعت باسمي إلا عرضاً فإن حياة اللهو التي تنغمس فيها تكاد تجعلك معتزلاً العالم .

إنني أدعى "أرسين لوبين" .. ومهمتي في هذه الدنيا الانتقام ممن يفلتون من العدالة .. إني شخص يتلافى النقص الذي يتردى فيه الناس وإدارة البوليس السري تبحث عني منذ سنوات . ولو أنك اتصلت بصيقي "جانيمار" أو "بيتشو" لحدثاك عني طويلاً . فسلهما

إذا شئت .

إنك رجل غني واسع الثراء . وكان ينبغي أن تعوض أهل الفتاة التي كنت أنت سببا في مصرعها . إن لها أما مريضة في حاجة إلى من يعولها . ولها أخ صغير في حاجة إلى من ينفق على تعليمه . ولهذا أرجو أن ترسل إلى الأم شيكا بخمسين ألف فرنك وشيكا آخر بـ مائتي ألف فرنك تبرعا منك لجمعية إعانة الممثلين والممثلات .

سامهلك شهراً لتدفع ربع المليون فرنك تكفيراً عن جرمك .

وإلا .. فالويل لك مني .. من قتل يقتل فاحذر . !

«أرسين لوبين»

ولم يكن في الخطاب شيء أكثر من هذا .

قرأه "جيدو ماسكيه" مرة بعد مرة دون أن يقف على سر جديد .

لم تكن هذه أول مرة سمع فيها اسم "أرسين لوبين" ولكنه لم يكن يعرف عنه إلا النذر اليسير . لص بارع حير رجال البوليس . ! وهذا كل شيء . وإنه ينطبق على كثير من اللصوص .

ربع مليون فرنك . ! إن هذا اللص مخبول بلا ريب . أو لعلها مزحة مازح خفيف الروح .

وقال "جيدو ماسكيه" متسائلاً :

- ولكن من يكون أرسين لوبين؟ هذا ؟ .

وكان خادمه خبيراً بمثل هذه الشؤون فاجاب في إيجاز :

- إن "أرسين لوبين" يا سيدي شيطان . !

- شيطان .. ! ؟

- نعم شيطان .. إنه .. إنه ؟ إنه شيطان !

ولم ير خيراً من هذه الكلمة للتعبير عما يجول في ذهنه .. !

وضحك "جيدو" وقال :

- إنني لا أخاف الشياطين لأنني لا أؤمن بوجودها .. !

- ولكن "أرسين لوبين" يا سيدي شيطان من نوع آخر .. !

- ولو .. !

والقى "جيدو ماسكيه" نظرة فاحصة على الخطاب وغلافه ثم هز كتفيه بلا احتفال وهم بأن يمزقهما ويقتذف بهما إلى سلة المهملات

لولا أن طرا خاطر بذهنه .

- لم لا أخطر إدارة البوليس بالأمر .. ؟ !

وأمر سكرتيره بإرسال الخطاب إلى إدارة البوليس .

وكان "جيدو" خليقا بان ينسى هذا الخطاب العجيب لولا أنه وجد في انتظاره عند عوبته إلى داره كهلا ذا ملامح قاسية وعينين تتوقدان نكاء ورفع الكهل قبعته يحيي المليونير الشاب وقال :

- إنني "جانيمار" .. كبير مفتشي البوليس السري .

- أهلا بك يا مسيو "جانيمار" .. أجئت تزورني بسبب هذا الخطاب؟

إنه مزحة مازح فيما أظن . ؟ إنك دون شك لا تعلق على الأمر أية

اهمية . ؟

فهز "جانيمار" رأسه وقال في تودة :

- بل إنني اعلق عليه اكبر الاهمية . !

- ماذا تقول . ؟

- اقول : إنني رصدت الثنين من خيرة رجالي للسهر على حياتك وحراستك .

فحملق إليه "جيدو" ماسكيه في إنكار وقال :

- اتكلم جادا . ؟ إنن فقد كان خادمي على حق . ! قال لي خادمي :

إن هذا المدعو "ارسين لويين" شيطان رجيم . !

فهز "جانيمار" رأسه هزة الخبير العارف وقال :

- إنه أكثر من شيطان . !

- لقد لاحظ أن الخطاب يحمل طابع لندن فهل ..

فقال "جانيمار" مقاطعا :

- نعم .. إن "ارسين لويين" في لندن الآن .

- ولكنه لن يجرؤ على الحضور إلى فرنسا . !

- إنه يجرؤ على كل شيء . ! في وسعه حين يشاء أن يدخل إدارة

الامن العام ويجلس إلى مكتب المدير دون أن يعتريه الخوف .

- ولكن كيف هذا . ؟ الا يقيم وزنا لرجال البوليس . ؟ الا يقيم وزنا

لك .. ؟

فهز "جانيمار" رأسه في حزن وقال :

- إن "أرسين لوبين" هو اللص الوحيد الذي لا يقيم لي وزنا . !
 - ولكن كيف تصبر عليه ؟ لماذا لا تقبض عليه ؟
 - لماذا لا اقبض عليه . ؟ إنها يا سيدي حكاية يطول شرحها ..
 اهُون عندي أن اقبض على الشيطان من أن اقبض على "لوبين" .. !
 - هذا عجيب .. !
 ومضى "جانيمار" يقص على "جيدو ماسكية" بعض حوادث "لوبين"
 الأخيرة . فلما فرغ من حديثه كان القلق قد استولى على المليونير
 وعراه الانزعاج .
 وقال في صوت يتهدج اضطرابا :
 - إنه شيطان .. ! وقاتل أيضا . !
 فقال "جانيمار" مقاطعا :
 - ربما كان قاتلا وربما لم يكن . عهدي بـ "أرسين لوبين" أنه لا يسفك
 دما .. وإذا كانت قد وقعت جرائم قتل في بعض الحوادث المتصلة به
 فإن رجال عصابته هم الذين ارتكبوها بلا نزاع .. ولست أشك في أنه
 غضب عليهم واقصاهم .. ومن النادر أن يرتكب "لوبين" جريمة قتل ..
 إلا إذا كانت العدالة قد افلست مجرما يستحق أن يشنق .. فإنه في هذه
 الحالة يتولى حكم العدالة . !
 فقال "جيدو" في انزعاج :
 - وهل أقامته العدالة ممثلا لها . ! إنه يعد قاتلا على أي الأحوال .
 فقال "جانيمار" مؤيدا :
 - بالتأكيد .. بالتأكيد .. ولكني لا أكتم عنك أنني في مثل هذه الأحوال
 أقر "لوبين" على ما فعل ولا تأخذني رحمة بالقتيل . !
 فهتف "جيدو ماسكية" :
 - إنك من رجال البوليس يا سيدي فكيف نقول هذا . ! أولى بك بدل
 أن تؤيد هذا اللص وتدافع عن أعماله ، أن تعني باعتقاله . ! هذه
 فضيحة صارخة . ! إنني ما سمعت في حياتي شيئا من هذا القبيل . !
 وتناول "جيدو" الرسالة وبسطها أما م عيني "جانيمار" وقال :
 - وما معنى هذه الجملة يا سيدي .. ؟ « من قتل يقتل فاحذر . ! »
 - معناها جلي لا يحتاج إلى تفسير . !

- ولكن .. ولكن حادثة (ليون) وقعت قضاء وقدرًا .. لقد أخطأت الفتاة المنكودة الحظ فحسبت النافذة بابا فهوت إلى قارعة الطريق .
فقال "جانيمار" في هدوء :

- إنني أعرف كل شيء عن هذا الحادث يا .. مسيو "ماسكيه" ، وأرى من الخير.. من الخير لك ألا تسألني في هذا الموضوع . !
وكانت في لهجته نبرة ذات مغزى . !
ثم أردف يقول :

- ولكن دعني أصارك برأيي في الرسالة التي جاعتك .. ليس بين رجال البوليس من هو أعلم مني بـ "أرسين لوبين" .. ولذلك اعتقد اعتقادًا جازمًا أنه سيرب بوعده . ! أعني سينفذ تهديده . ! إن "أرسين لوبين" هو اللص الوحيد الذي لا يخلف كلمته ..
- وأين البوليس إذن .. ! أين الاحتياطات التي ينبغي أن تتخذها بصفتك كبير مفتشي البوليس السري ؟ !
فقال "جانيمار" في هدوء :

- سأخذ يا سيدي جميع الاحتياطات بطبيعة الحال ، ولكن ليست هذه أول مرة اتخذت فيها الاحتياطات ضد "لوبين" .. إنه متوقد الذهن حاد الذكاء ، عظيم الدهاء . !
- اعترف بعجزك ؟ !

- وما حيلة الإنسان أمام الشيطان ؟ !
- سيدي .. إنك ..

- إن "لوبين" يا سيدي أبرع من عرفت في التنكر .. يمكنك أن تسميه الرجل ذا المائة وجه .. لقد تسنى لي أن أرى وجهه مرة واحدة بلا تنكر .. ولكن ما الفائدة وهو لا يكاد يخرج إلا متنكرًا . ! ربما غادرتك الآن فجاك "لوبين" نفسه متنكرًا على صورتي .. !

- وما العمل الآن .. ؟

- لقد عملت كل ما في وسعي فاقمت على حراستك اثنين من خيرة رجالي .. وهذا كل ما يسعني .. فأرجو أن تخطر رجالي بانتقالاتك .

- ولكن .. ولكنني قد أسافر إلى برلين.
فقال "جانيمار" في هدوء :

- إذا سافرت إلى برلين فلن أكون مسؤولاً عن حياتك .
وتهالك "جيدو" ماسكية" على المقعد وقد امتنع وجهه .

* * *

في بداية الأمر نظر "جيدو" إلى الحادث نظرة الهزء والاستخفاف .
ولكن الأيام أخذت تتتابع وهو لا ينفك يرى الشرطي السري جالسا
بباب الدار أو مستويا إلى جوار سائق السيارة .. فآثر ذلك في
أعصابه ونكره بالخطر الذي يتهدده . وما أن انقضى الشهر الذي
ضربه "لوبيين" موعدا للانتقامه حتى كان المسكين انى إلى أن يكون
حطاما مضعضعا .

وأخيرا جاءه المفتش "جانيمار" يحمل إليه النبا البغيض :

- لقد رجع "أرسين لوبيين" إلى فرنسا ١٩٠ :

فامتنع وجه المسكين وقال :

- رجع إلى فرنسا ١٩٠ وكيف .. وكيف عرفت ذلك .. ؟

ولكن "جانيمار" لم يجب عن هذا السؤال .. لم يكن مستعدا للإجابة
وإلا لاضطر أن يكشف "جيدو" بأن لإدارة الأمن العام عيونا من
الصوص أنفسهم يرقبون زملائهم ويتجسسون عليهم ثم يحملون
أنباعهم إلى البوليس سرا .

لو أن "جانيمار" أجاب عن هذا السؤال لاضطر أن يكشف "جيدو"
ماسكية" بأن الذي اتاه بالنبا نشال يدعى "نوزيه" اعتاد أن يؤدي مثل
هذه الخدمات لـ "جانيمار" .. ولاضطر أيضا أن يكشفه بما أبدى نو
الحية الحمراء من سلوك مريب يدعو إلى الظن بأنه "أرسين لوبيين"
متفكرا .

وكانت هناك بعض الشائعات تحوم حول "نوزيه" والخدمات التي
يؤديها ، ولكن "نوزيه" كان لا يفتأ يقسم لزملائه أنه بريء وأنه ما
ارتكب شراً في حياته ولا خان أحدا .

ويقوم "نوزيه" في غرفة صغيرة في شارع (كلوريه) .. غرفة قنرة لا
تكاد تدخلها الشمس ولا يضرب الهواء في جنباتها . والمعروف عنه
أنه ليس بارعا في النشل ، ولذلك لم يستغرب أحد أن يكون على عهد
الناس به قنر الثياب قديمها ما دام لا يربح من مهنته إلا النزر

اليسير.

وفي ذات مساء مضى "نوزيه" إلى مخفر البوليس القريب من داره متسترا بالظلام وقابل المفتش "استوريه" الذي كان قد أرسل يستدعيه.

وقال "نوزيه" مفضيا بما لديه من معلومات :

- سيقع سطو في الغد على حانوت الجوهري "لويس" .. وسيقوم بهذه «اللعبة» اللص الإنجليزي "نوتينج ريل" .. وسيبيع المسروقات اليهودي "الفوس" .. امن اجل هذا أرسلت إلي يا مسيو "استوريه" .. ؟
وكان "نوزيه" واقفا يدير قبعته بين أصابعه في شيء من الارتباك .
ولم تكن هذه أول مرة قابل فيها "استوريه" مرشدي البوليس . ولكنه كان يعرف ان نوزيه خيرهم وأبرعهم .

ودون أن يرفع رأسه قال يجيبه في غلظة وجفاء :

- انتظر هنا .

ثم انتقل إلى الغرفة المجاورة واوصد الباب خلفه .

وفي الغرفة المجاورة كان "جانيمار" كبير مفتشي البوليس السري جالسا إلى المكتب وبين شفطيه سيجارة يدخنها ، وقال المفتش "استوريه" :

- لقد جاء الرجل الذي حدثك عنه يا سيدي .. "نوزيه" .. إنه أبرع مرشدي البوليس ويمكنك أن تركزن إليه .. ولكنه جبان لا يحب أن يستهدف للخطر فلا تجعله يفهم أن العمل الذي سنسندة إليه ينطوي على شيء من الخطر .

نحى "جانيمار" السيجارة عن فمه وقال :

- ايعرف يا ترى السبب في استدعائه ؟

فابتسم "استوريه" وقال :

- لا .. لقد أوقعت في روعه اني استدعيته لأطرح عليه بعض الاسئلة عن السطو على حانوت جوهري ، وإن كنا في الواقع على علم بجميع التفاصيل من مرشد آخر .

- اتني به .

وبخل "نوزيه" إلى الغرفة الثانية وهو قلق مضطرب وجعل ينقل بصره في حيرة وارتباك بين الرجلين .

وقال في صوت رقيق النبرات :

- نعم يا سيدي .. ؟

فقال "استوريه" :

- هذا هو مسيو "جانيمار" كبير مفتشي البوليس السري .

واحنى "توزيه" راسه وقد ازداد وجهه امتقاعا وقال في صوت

متهدج :

- لقد سمعت باسمك يا سيدي كثيراً .. إنك المفتش الذي اقتنص

"أرسين لوبين" .

فقطب "جانيمار" جبينه وقال :

- الواقع أنني لم اقتنصه .. ولكنك انت الذي ستقتنصه .. !

- أنا يا سيدي ؟ !

وجعل "توزيه" يحملق إلى وجه "جانيمار" وقد اتسعت عيناه بهشة

وفغر فاه استغرابا حتى صارت هيئته مدعاة إلى الضحك كأنه ممثل

هزلي .

ولما تمالك روعه غمغم يقول :

- أتريد أن تعهد إلي يا سيدي بمهمة جديدة . ؟ إنني رهن إشارتك إن

بي ميلا طبيعيا إلى المراقبة وترصد حركات اللصوص . ولست أكتف

عك يا سيدي إنني كنت أتمنى أن أكون شرطيا سريا . لو أنني احترفت

هذه المهنة لأفلحت . وما يبريني أنني كنت جديراً بأن أصبح كبيراً

لمفتشي البوليس السري . ! ولست أعني بذلك يا سيدي أنني أضاهيك

نكاء ودهاء .. ولكنني .. ولكنني .

ولم يجد كلمة يصلح بها غلطته فسكت .

وقال "جانيمار" :

- لقد أرسل "أرسين لوبين" خطاب تهديد إلى المليونير "جيدو

ماسكيه" ولهذا أريد منك أن تراقبه .

- وكيف أراقبه يا سيدي وقد سمعت أنه في إنجلترا ؟

- لقد رجع .

- رجع . ؟

- نعم .. أو بعبارة أخرى إننا نرتاب في أحد القادمين ويغلب على

ظننا انه "لوبيين" . ولذلك ساعهد إليك بمراقبته حتى استوثق من الحقيقة .

وبعد ربع الساعة تم الاتفاق على ان يتولى "نوزيه" مراقبة ذي اللحية الحمراء الذي حضر من انجلترا في اليوم السابق .

* * *

جاء ذو اللحية الحمراء من انجلترا في الدرجة الثالثة .. وكان جواز سفره محررا باسم "تينيت" .. وذكر امام مهنته انه مهندس كهربائي ولكنه على الرغم من مظاهر الفقر البادية عليه فإنه استاجر مسكنا فخما (وإن كان صغيرا) في ميدان (ليتوال) .

وفي ذات يوم ذهب ذو اللحية الحمراء إلى زيارة "جيدو ماسكيه" .
اثارت هذه الزيارة شكوك "جانيمار" .. إنه يرتاب في ان ذا اللحية الحمراء هو "ارسين لوبيين" .. فإذا ما جاء لزيارة "جيدو" فمعنى ذلك انه لابد ان يكون "لوبيين" . ومما ضاعف .. شكوكه ان ذا اللحية الحمراء شوهد في اليوم التالي يحوم حول البيت ويراقبه من الناحية الخلفية.

واستفسر "جانيمار" من "جيدو" عن سبب تلك الزيارة التي قام بها ذو اللحية الحمراء فعلم انه جاء ليتحدث إليه بخصوص مشروع استنباط القوة الكهربائية من بعض الأنهار في بلاد لهند .

ولم يكن اهون عند "جانيمار" من ان يلقي القبض على ذي اللحية الحمراء ويضيق عليه الخناق ويتحقق من شخصيته .. ولقد هم "جانيمار" بان يقدم على هذا فعلا ، لولا ان ذكر حملات الصحف عليه حين قبض منذ اشهر قليلة على ثلاثة من الأبرياء ارتاب في أنهم من عصابة "لوبيين" .. لقد حملت الصحف إذ ذاك حملة متكررة على البوليس ونظم البوليس .. وذكرت ان إلقاء القبض على الأبرياء يعد فضيحة صارخة لنظام التحقيق في فرنسا وتراجع "جانيمار" امام هذه الحملة ولم يجرؤ على اعتقال ذي اللحية الحمراء ، إذ كيف يبرر موقفه لو ظهر انه بريء لا شأن له بـ"لوبيين" . !

تعقب المراقبون ذا اللحية الحمراء .. ولكنه كان بارعا في التخلص من امثال هذه المطاردات .. وكمن مرة وثب من سيارة التاكسي اثناء

سيرها وقفز إلى سواها فضلل مطارديه .
وقال "نوزيه" :

- ولكني لا اعتقد يا سيدي أن هذا الرجل هو "أرسين لوبين" . !
- ولماذا ؟ .

- إنه ملتح .. وعهدي بـ "لوبين" أنه حليق اللحية . !!!
فصاح "جانيمار" مزجراً :

- تبا لك . ! ! الا يستطيع أن ينمي لحيته . ! ! الا يستطيع أن يضع
لحية مستعارة . ! راقبه واحمل إلي أنباءه . ! إن رجال البوليس لا
يستطيعون السطو سرا على مسكنه .. أما أنت .. فتستطيع .. تسلل
إذن إلى مسكنه وافحص أوراقه فقد تجد بينها ما يرشدنا إلى الحقيقة
ولكن اسمع .. ليس معنى هذا أنني عهدت إليك بالسطو على مسكنه .
كلا .. إنني شرطي وواجبي يقضي علي بأن أكون عدواً للمساكين لا
نصيراً لهم مهما تكن الأسباب .. كل ما هنالك أنني أريد منك أن تؤدي
واجبك على الوجه الأكمل .. ولكني لست مسؤولاً عن شيء .
فأحني "نوزيه" رأسه دلالة على الفهم .

وبعد ثلاثة أيام حمل "نوزيه" إلى المفتش "جانيمار" تقريراً
متضمناً تفاصيل ذات شأن .. لقد ذهب (تينيت) إلى المطار وتحدث
في شأن استنجاز طائرة خاصة ذات مقعد واحد ليسافر بها إلى
انجلترا ثم أمضى وقتاً طويلاً في إحدى شركات الكهرباء في الناحية
الشرقية من باريس . وبعد ذلك اشترى عدة أشياء لا يعلم "نوزيه"
كنها ومضى بها إلى داره .

ورأى "جانيمار" أن يستشير مدير الأمن العام في الأمر .
وقال المدير :

- يمكنك أن تستصدر أمراً بتفتيش مسكنه .
- فتشنا مسكنه .. ولكننا لم نعث فيه على ما يثير الريبة .
وفي تلك الليلة ذهب "جانيمار" يزور "جيدو ماسكيه" .
والفي المليونير على حال سيئة ، لقد حطمته الثلاثة أشهر الماضية
وهدمت أعصابه .. لقد أحالته حطاماً بالياً .
وقال المليونير في صوت مضطرب حين دخل عليه "جانيمار" :

- الديك انباء جديدة ؟ هل استطاع جاسوسكم "نوزيه" ان يكتشف شيئا ؟

إن "نوزيه" متوقد الذكاء يا مسيو "جانيمار" وأولى به أن يكون من رجال البوليس .. كنت اتحدث إليه بالأمس فادهشني بذكائه . لقد رايته واقفا عند الباب مع أحد رجالك . ولكن اسمع يا مسيو "جانيمار" دعني أقص عليك حكاية الراقصة .. أقسم لك أنها انتحرت وأنه لم تكن لي يد في ..

فقاطعه "جانيمار" بقوله :

- قلت إنني أؤثر إلا اطرق هذا الموضوع !

وسكت "جيدو ماسكيه" .

* * *

ما كاد "جانيمار" يغادر قصر المليونير حتى وقفت بالباب سيارة هبط منها "نوزيه" مسرعا وهو بادي القلق والاضطراب . وأقبل على الشرطي السري الذي اقيم عند الباب لمراقبة الداخلين والخارجين وقال له :

- أين مسيو "جانيمار" ؟ لقد اختفى ذو اللحية الحمراء . لقد غادر مسكنه . وحلق لحيته أيضا . ولم اعرفه عند خروجه . ولم افطن للامر إلا بعد أن تمكن من الهرب .. ! أين المفتش يا سرجنت كونييه ؟
فاجابه كونييه " وقد بدا عليه الانزعاج :

- لقد انصرف المفتش .

ويخل كونييه " إلى البيت يتبعه "نوزيه" وسار بهما الخادم إلى الطابق الثاني وارشد البوليس السري إلى غرفة الموصلة التليفونية المجاورة لقاعة الطعام .

وانهمك كونييه " في الحديث التليفوني على حين وقف "نوزيه" في انتظاره في البهو .

فتح باب المخدع وبرز "جيدو ماسكيه" على عتبة فلما رأى "نوزيه" قال يسأله:

- ماذا جرى ؟

- إنه يتحدث إلى رئيسه . لقد وقع حادث خطير .

- حادث خطير ؟ ! تكلم

- فادار "نوزيه" راسه فيما حو اليه وقال :

- اخشى ان يسمعنا احد من الخدم . !

- تعال معي إذن إلى مكتبي .

وامضى "نوزيه" في مكتب المليونير خمس دقائق وحين خرج اوصد الباب خلفه ووقف ينتظر "كونيه" في البهو .

ولما فرغ السرجنت من حديثه التليفوني قال يخاطب "نوزيه" ..

- اطمئن .. فقد قبضوا على ذي اللحية الحمراء . كان "جانيمار" قد اتخذ الحيلة فعهد إلى احد زملائي بمراقبته .

فقال "نوزيه" في شيء من الغضب :

- كيف هذا .. ! الا تتقون بي . ! اتعهدون إلي بمراقبته وفي الوقت ذاته تسندون نفس هذه المهمة إلى احد رجالكم . ! هذه خيانة . هذه خدعة غير لائقة . !

فابتسم السرجنت "كونيه" وقال :

- لولا هذه الخدعة لأفلت منا ذو اللحية الحمراء . ولما .. سلمت من غضب الرئيس .. هيا اسرع إلى إدارة البوليس فإنه في حاجة إليك . وفي تلك الوقت جيء بذى اللحية الحمراء إلى مكتب "جانيمار" ... وكان ثائرا غاضبا لا ينفك لحظة واحدة عن الاحتجاج على اعتقاله بلا سبب .

وجعل يقول :

- ما معنى هذا .. ! لاي سبب القيتم القبض علي . ! افي هذه البلاد قانون يحرم على الناس حلق لحاهم . ! نعم .. لقد حقلت لحيتي لأنني لم اعد راغبا فيها .. ماذا تقول ؟ . لحيه مستعارة .. ! هذا ادعاء كاتب يا سيدي .. ! إنها لحيه حقيقية . !

- ولماذا تركت مسكنتك ؟ .

- تركت مسكني لاني كنت معتزما السفر .

- إلى أين ؟

- إلى هولاند لأقابل ممولا وعد بان يمدني بالمال اللازم لتنفيذ مشروعني الخاص باستنباط القوة الكهربائية من مساقط المياه في بلاد الهند .

وقاطعه "جانيمار" بقوله :

- لحظة واحدة يا سيدي .. حين جئت إلى فرنسا كانت مظاهر الفقر باقية عليك ، ولكنك ما كنت تهبط باريس حتى تبدلت حالك فاستاجرت مسكنا غاليا وابتعت ثيابا جديدة وكنت لا تكاد تنتقل إلا في سيارات التاكسي ، واصبح لديك من المال ما يكفي للسفر إلى هولاند فهل لك ان تفسر لي السر في هذا التبدل؟
فتردد الرجل هنيهة ثم قال :

- ساكشفك بالحقيقة يا سيدي .. لا اكتم عنك اني كنت مفلسا حين وصلت إلى باريس ، ولكنني التقيت في المحطة برجل ذكر لي انه يهتم بالهندسة الكهربائية من مساقط المياه فابدى اهتماما كبيرا بحديثي .. وهيئة الرجل لا تدل على الثراء ولذلك دهشت حين رايتنه يخرج من محفظته مائتي جنيهه قدمها إلي واشار علي بما ينبغي ان اصنع . فهو الذي نصحني بان استاجر شقة فخمة .. وهو الذي وضع لي برنامجا اسير عليه فذكر لي الجهات التي يجب ان اختلف إليها كل يوم .. ولقد كنت حريصا على لحيتي معجبا بها ، ولكنه طلب إلي بالامس في إلحاح ان احلقها فاضطرتت ان انزل عند رغبته ثم نقبني ثلاثمائة جنيه اجر السفر إلى هولاند .

وكان "جانيمار" يصغي إلى هذه القصة بين الإنكار والتصديق ثم قال:

- وهل هذا الرجل هو الذي اشار عليك بزيارة المليونير "جيوماسكيه"؟

- نعم .

- وهو الذي اشار عليك بان تقف في اليوم التالي على مقربة من البيت .. ؟

- نعم .

- صف لي هذا الرجل .

فقال "تينية" مجيبا :

- إنه زري الهيئة تدل ثيابه على الفقر ويمتاز بانف كبير احمر ، وله سن بارزة وبساقه عرج خفيف .

ما سمع "جانيمار" هذه الكلمات حتى انبعث واقفا وهو يصرخ قائلا :

- ماذا تقول ؟ انف كبير احمر .. سن بارزة .. بساقه عرج خفيف..! يا إلهي .. ! إنه هو بعينه .. ! إنه هو بعينه . !

وخرج من مكتبه وهو يجري واستقل إحدى سيارات التاكسي وأمر السائق بان ينطلق به إلى بيت المليونير "جيدو ماسكية" ووثب "جانيمار" من السيارة قبل أن تقف وصاح بالسرجنت "كونيه" الذي يتولى حراسة القصر :

- خبرني .. ! هل قابل "نوزيه" مسيو "ماسكية" .. ؟

فهز السرجنت راسه وقال :

- لا أري .. ! لقد صعدنا إلى الطابق الثاني وتركته في البهو ريثما أخاطبك في التليفون .

ولم ينتظر "جانيمار" المصعد وإنما ارتقى السلم وثبا حتى إذا بلغ الطابق الثاني قال يسأل الخادم :

- أين مسيو "ماسكية" .. ؟

- في مكتبه يا سيدي .

ولم ينتظر "جانيمار" إذنا بالدخول وإنما دفع الباب ودخل .

وهناك رأى "جيدو ماسكية" .

كان المليونير طريحا على الأرض وهو موثق القياد مكمم الفم .. وكان في حالة إغماء .

وفوق صدره ورقة عليها كلمات كتبت على عجل . وهذا نصها :

صديقي العزيز "جانيمار"

«بلغني أنك استتات مني أشد الاستياء باحترافي مهنة رجال البوليس حين امطت اللثام عن لغز غابة (مورج) . اعني حادث القرد السكران الذي فتك بسيدة وزوجته .

«وانك لتعلم يا صديقي "جانيمار" ان لك عندي مكانة كبيرة واني اكره ان اكون سببا في إثارة غضبك . لهذا صح عزمي - نزولا على رغبتك - على ان اكف عن مزاحمة رجال البوليس في مهنتهم وان اعود إلى حرفتي القديمة : اللصوصية .. ! فلعلك راض الآن .. !

ولقد بدأت عملي بإنذار مسيو "جيدو ماسكيه" .. ولكنه أبى ان يستمع إلي .. انذرتة بان يدفع ربع مليون فرنك فركب رأسه ورفض .. ! كان أولى بك يا صديقي ان تنصحه .. !

وعقابا له ضاعفت المبلغ .. ! أرغمته على ان يحرر شيكا بنصف مليون فرنك سارسل منه مائة ألف فرنك إلى أم الراقصة المسكينة . وربع مليون فرنك تبرعا لجمعية إعانة الممثلين .. والممثلات .. اما المائتا ألف الباقية فساحتفظ بها لنفسي مكافاة على ما تجشمت من تعب .

وعلى فكرة أرجو ان تلجا إلي إذا احتجت إلى شيء من المعلومات عما يجري وراء الستار . فإن «نوزيه» بشهادة الجميع أبرع .. مرشدي البوليس وأقدرهم . فإن طاب لك يوما أن تستعين بي فلا تتردد . إن ذا اللحية الحمراء طاهر الذيل وقد استخدمته في تحقيق اغراضي وهو لا يدرى ، فاطلق سراحه ولا تزعجه .

صفق يا صديقي إعجابا بـ "ارسين لوبين" .. ! كانت خدعة بارعة . ! بيت المليونير محاصر برجال البوليس ولا سبيل إلى تخطي عتبته فما العمل إذن ؟

الوسيلة الوحيدة هي ان يصبح "لوبين" من مرشدي البوليس حتى يتسنى له دخول قصر المليونير بين سمع البوليس وبصره - بل وتحت

حمايته . ! وهكذا كان . ! فبقليل من التنكر - أصبح "لوبيين" ذا انف
كبير احمر وسن بارزة وساق بها عرج خفيف . !
«وقبل أن اختم رسالتي اؤكد لك اني على استعداد لان القي عليك
برسا في فن التنكر . !

«مرشد البوليس نوزيه»

او

«صديقك المخلص "أرسين لوبيين"

الفصل السادس

قال المفتش "بيشو" مخاطبا رئيسه "جانيمار" كبير مفتشي البوليس السري:

- ليس من حقي ولا من شاني يا سيدي ان ابدى .. شيئا من النقد او الاعتراض . ولكني ارجو الا يغضبك مني قلبي : إن اساليبك حيال "ارسين لوبين" اصبحت لا تجدي ، وإنك لن تفلح بهذه الوسائل في اقتناصه .. لقد استطاع "لوبين" أن ينقلب عليك مرارا فامتلات نفسك ياسا . والياس كفيل بان يقضي على ما لديك من حسن التدبير والدهاء ولهذا لا اعتقد انك ستنجح في اعتقاله .. لابد من تعديل الخطط البوليسية .. وهذا التعديل لا يمكن أن يتم على يديك انت . ! وإنما ينبغي أن يتم على يدي شرطي آخر لم تقتل حسن تدبيره الهزائم التي مني بها.

واستمع "جانيمار" إلى حديث .. مرعوسيه في امتعاض ظاهر ولكنه كظم ما بنفسه ولبث صامتا ... لقد تقدمت به الاعوام ولن يستمر في خدمة الحكومة أكثر من بضعة اشهر ثم يعتزل العمل . وسيخلفه المفتش "بيشو" . فما الداعي إلى إثارة عراك سخيف والامر بينهما لن يعدو اشهرا ؟ .

يعتقد "بيشو" انه اكفا من "جانيمار" . ! فليكن . ! لندعه في غروره ولكني ساهيء له فرصة يمنى فيها بهزيمة من تلك الهزائم التي ينعيها علي ويعيرني بها !

بهذا حدث "جانيمار" نفسه وهو يستمع إلى نقد "بيشو" اللاذع . ثم رفع صوته قائلا :

- إنك تعلم يا عزيزي "بيشو" انني منحت إجازة قصيرة سامضيها في جنوب فرنسا . وستتولى انت العمل مكاني في انحاء غيبتني . فارجو أن تتاح لك فرصة تجرب خططك البوليسية الجديدة . ! وسأنبه على "كانتي" بان يحول إليك جميع الرسائل التي ترد باسمي ... وارجو

ان ينكرك "لوبين" بإحدى مغامراته حتى أرى كيف تتصرف تصرف
الأنكباء !

وضحك ساخراً ... فقال "بيشو" :

- سوف ترى .. !

وقبل أن يغادر "جانيمار" باريس إلى مصيفه ظهرت الصحف وفيها
فقرة تشير إلى أن "جانيمار" منح إجازة قصيرة . وأن المفتش "بيشو"
تولى العمل مكانه وأنه هو الذي سيتابع تحقيق قضايا "أرسين لوبين"
التي كانت مناعة بـ"جانيمار" .

وفي صباح اليوم التالي ورد خطاب إلى الأمن العام .

كان الخطاب معنوناً باسم "جانيمار" كبير موظفي البوليس السري،
ولم يكن لدى سكرتير "جانيمار" أي شك في أن هذا الخطاب وارد من
"أرسين لوبين" .

وقال "بيشو" :

- "أرسين لوبين" ؟ . كلام فارغ . ! ما الذي يدعو إلى الكتابة ،

أجرت عادته بأن يرسل "جانيمار" .. ؟

فض "بيشو" الرسالة وقد علت شفتيه ابتسامة تخطوي على
الاحتقار .

وكان هذا نص الخطاب :

في باريس رجل يدعى "بول لامور" .

ومن الغريب أنني لا أحب "بول لامور" هذا . ! لقد بدأ حياته لصاً . !
كان يسرق أجور العمال .. يستخدم الوفا من العمال في مصنعه
ولا يمنحهم الأجر الذي يستحقون .. ! ليست هذه لصوصية .. !
الرجل الذي يستنزف دماء العمال هو في رأيي أشد اللصوص
إجراماً .. و"بول لامور" من هذا الطراز .

وقد أساء إلى صديقة لي .. أساء إليها بلا جريمة اقترفتها فحق
عليه القصاص . ولذلك اعتزمت أن أسرقه .

نعم .. أنا الواضع اسمي أدناه "أرسين لوبين" أعلن على رؤوس

الأشهاد اني قررت أن اسلب 'بول لامور' مليوناً من الفرنكات (أو ما يعادلها) . وهذا المبلغ هو ثمن قلادة من الماس سيبتاعها 'لامور' من الجوهري 'كوليه' في ميدان النجمة . فبمجرد انتقال القلادة إلى يد مشتريها ستنتقل إلى يدي . !
«وهذا إنذار مني .. !»

«أرسين لوبين»

والتفت 'بيشو' إلى من حوله وقال متسائلاً :

- من يكون 'بول لامور' ؟ ..

فمضى مساعده ليقوم بتحرياته وليجمع بعض المعلومات ثم رجع يقول : إنه اطلع على مختلف التقاويم كما قرأ الدليل العام دون أن يجد فيها أية إشارة إلى رجل يحمل هذا الاسم .
فهز 'بيشو' كتفيه في استخفاف وقال :

- هراء .. ! كلام فارغ .. ! سخافات .. ! لو أن 'جانيمار' هنا لأقام الدنيا وأقعدها بسبب هذا الخطاب السخيف .. ! أما أنا .. !

وطوح بالخطاب في سلة المهملات في ازدياء .
وقال مساعده السرجنت 'لافرين' محذراً :

- من عادة 'لوبين' يا سيدي أن يعقب على هذه الإنذارات بتسديد «الضربة» التي تكلم عنها دون أن يبالي بأحد .

- ربما لم يكن يبالي بـ'جانيمار' ولكني ساعلمه كيف يبالي بي أنا . !
وفي مساء تلك الليلة بعينها دخل مساعده وهو منهك في عمله في مكتبه وأبتره بقوله :

- لقد اهتديت إلى 'بول لامور' .. !

وأخرج من جيبه صحيفة مسائية وأشار إلى فقرة وضع عندها خطأ بالقلم الأحمر وقال :

- اقرأ هذا النبا .. !

وكان هذا نص الفقرة :-

« منذ أسبوع هبط باريث المليونير الأمريكي المعروف 'بول لامور' »

وقد علمنا انه ابتاع منذ ايام لوحة فنية رائعة تمثل الربيع من ريشة
المصور الخالد 'زينارد' ليضمها إلى متحفه العظيم . وبلغنا أيضا انه
ابتاع نماذج من صور المدرسة الحديثة دفع فيها مائة ألف فرنك ،
وقطب 'بيشو' جبينه وقال :

- أسرع يا 'لافرين' إلى الفنادق الكبيرة وتحر عن مستر 'بول لامور'
وعد إلي بأسرع ما يمكن وانبثني في أي فندق نزل .
ولم يكن الاهتمام إلى مقر المليونير الأمريكي بالامر العسير . إذ
احتجز لنفسه جناحا في فندق من أكبر فنادق باريس .
على أن الاتصال به كان عسيراً متعذراً .. تحدث إليه 'بيشو'
تليفونيا فقليل له إن المليونير أوى إلى مخدعه مبكرا وأمر بالا يزعجه
أحد مهما تكن الأسباب . فأسرع 'بيشو' إلى الفندق بنفسه عله
يستطيع أن يقابل المليونير ولكنه لم يكن أسعد حظا فاضطر إلى أن
يرجئ الأمر حتى الصباح .

* * *

استقر رأي المفتش 'بيشو' على أن يزور المليونير الأمريكي في
الصباح ولكنه أثار قبل أن يمضي إلى الفندق أن يعرج على حانوت
الجوهري 'كوليه' الذي أشار إليه 'لويين' في رسالته .
وكان المدير العام غائبا في رياضة قصيرة فقابل مدير الإدارة .
- مسيو 'بول لامور' ؟ . أه .. بالتأكيد .. إننا نعرفه .. ولقد بعنا إليه
بعض الجواهر .. والمفاوضات دائرة بيننا الآن بخصوص قلادة
الاميرة الروسية 'الكسنبريف' .. إنه ينوي شرائها .
ثم قطب مدير الإدارة جبينه وقد تسربت الشكوك إلى نفسه وقال :
- ولكن خبرني .. هناك ما يؤخذ على المليونير الأمريكي ؟ . أهو
محتال مدع ؟ .

فضحك 'بيشو' وقال :

- أه لا .. لا بالتأكيد . لا شيء يؤخذ ضده .. إنه من اصحاب
الملايين فيما فهمت .. كل ما هناك أنني أسعى إلى صيانة مصالحه

وخراسته ولا ضير في أن أكشفك بالحقيقة إذ لا مفر من هذه المكاشفة
أجلا . لقد وصل إلى علمنا أن لصا شهيرا ينوي أن يسرق المليونير ..
ولذلك أريد منك إذا ما حان الوقت أن تزودني بكل معونة ممكنة .

اشتد الفضول بمدير المحل .. وود لو استطاع أن يقف على شيء من
التفصيلات ، ولكن "بيشو" لم يكن في هذا اليوم ميالا إلى الإفاضة
والاسهاب ، فلاذ بالصمت وأبى أن يزيد حرفا على ما قال .

ورجع "بيشو" إلى إدارة الأمن العام قبل أن يمضي إلى الفندق واطلع
على البريد الوارد ، فوجد أن مسيو "بول لامور" قد هون الأمور كثيرا
ومهد السبيل .. إذ حمل بريد الصباح بطاقة منه مرفقة بخطاب
توصية تلوه في حروف كبيرة مطبوعة هذه الجملة :

«إدارة بوليس نيويورك،

مكتب المدير العام،

وكان هذا نص خطاب التوصية :

«سيدي العزيز ..

اسمح لي بأن أكل إلى عنايتك الساهرة مستر "بول لامور" من أهل
هذه المدينة ومن كبار أغنيائها .. إن في نية مستر "لامور" أن يمضي
في فرنسا فترة من الزمن .. وقبل رحيله وردت إليه خطابات تهديد من
اللس الفرنسي الشهير "أرسين لوبين" .. فلم أر مندوحة من اللجوء
إليك والاستعانة بكم .

يحتمل أن تكون هذه التهديدات مجرد دعابات لا شأن لها ..

ولكنني أعرف أن مستر "لامور" لسبب ما قد أتى عملا أثار عدا
لوبيين" فلا يبعد إذن أن تكون هذه الإنذارات مستندة إلى أساس .. فهل
لك أن تفضل بإسداء كل معونة ممكنة إلى مواطننا مستر "لامور" .

«المخلص - سوليفان،

مدير عام بوليس نيويورك،

أما البطاقة التي أرفقها المليونير بالخطاب فلم تكن أكثر من دعوة
موجهة إلى مسيو "جانيمار" كبير مفتشي البوليس السري يدعو فيها

إلى مقابلته .. وبعد ربع الساعة مثل "بيشو" في حضرة
المليونير الأمريكي !

ومستر "بول لامور" طويل القامة ، وسيم الوجه ، ذو شارب سري
إليه الشيب ، ولاحظ "بيشو" أن الأمريكي مصاب بعادة عصبية ، هي أن
يرفع يده ما بين لحظة وأخرى إلى فمه ويجري أصابعه عليه وعلى
ثقبته .

- تفضل بالجلوس يا حضرة المفتش ، يسرني كثيرا أن أتعرف إليك
ولكن خبرني : من هو "أرسين لوبين" هذا ؟ إنني لم أقابله مطلقا ،
ولكني لا أخشاه ! نعم .. إنني لست خائفا ..

وكان جليا أن الأمريكي ولوع بالحديث ، ميال إلى الثثرة والإسهاب
فما يفرغ من جملة إلا انتقل إلى سواها ، و"بيشو" صابر صامت
يتربص فرصة يتهيا له فيها سبيل إلى الكلام .

ولم يغب عن "بيشو" أن مسيو "لامور" على علم بالسبب الذي أثار عداء
"أرسين لوبين" ، فقد أشار مرة أو مرتين في حديثه إلى «هذه الفتاة
فلتشر» ، ولكنه لم يشأ أن يزيد "بيشو" إيضاحا عن «هذه الفتاة فلتشر» ..
وقال "بيشو" أخيرا :

- الشيء الوحيد الذي أعرفه هو أنه تواعد بسرقتك .. لقد قال في
رسالته : إنك ستبتاع قلادة ثمنها مليون فرنك ، وانك ..
ففغر الأمريكي فمه بهشة وقال :

- يا للسماء .. ! قلادة "الكسندريف" .. ! ليت شعري كيف عرف أننا
اتفقنا على مليون فرنك ثمنها لها ! !

ولم يكن "بيشو" على استعداد للإجابة عن هذا السؤال .. فقال دون
أن يحير جوابا :

- لصالحك أريد منك أن تسدي إلي هذه الخدمة : في كل مرة تنوي
الذهاب إلى حانوت الجوهري "كوليه" أخطرني لأرافك .. وإذا حملت
معك مالا ..

فقال الأمريكي في لهجة تنطوي على الإزراء :

- احسبتني معتوها . ! اتظن انني احمل في جيبى مليوناً من
الفرنكات . ؟ سأنقده الثمن حواله مالية على احد البنوك .. ولكن
خبرني .. ما رايك في هذه الصورة . ؟

وقضى عشر دقائق يتحدث عن اللوحات الفنية التي ابتاعها في
الايام القليلة الماضية .

ورجع "بيشو" إلى مكتبه في إدارة الامن العام يعلو الإشراق وجهه .
لقد أخطأ "أرسين لوبين" ، وأخطا للمرة الأخيرة في حياته . ! نعم
أخطأ في إقدامه على هذه السرقة في عهد رجل آخر غير "جانيمار"
الذي أصبح لا نفع ولا خطر منه . ! أما "بيشو" فسيقن "لوبين" درساً لا
ينسى!

نعم .. لقد مني "جانيمار" بهزائم لا حصر لها على يدي "لوبين"
فنضب نكاؤه وجمدت قريحته ولم يعد لديه من الدهاء ما يتيح له
فرصة حسن التدبير ، وهو بعد شيخ طاعن في السن ، ومجالدة
"لوبين" في حاجة إلى ذهن جديد ، ذهن مبتكر .

وهذه الصفات كلها متوافرة لدى "بيشو" . ! وسوف يثبت للعالم انه
عبقري فذ... مضت سنوات و"جانيمار" يسعى عبثاً إلى اقتناص
"لوبين".

أما اليوم فسيظفر به "بيشو" .. وفي غير عناء . !
وجلس إلى مكتبه وهذه الخواطر تحشو رأسه .. وكتب خطاباً ..
مسهباً إلى "جانيمار" ضمنه جميع تفاصيل الحادث الجديد ،
واختتمه بقوله :

«وبطبيعة الحال لن ادع شيئاً للصف .. سأخذ جميع الاحتياطات
الممكنة ، وقد وعدني "بول لامور" وعداً قاطعاً بأنه لن يشتري القلادة إلا
في الثناء وجودي»

وقام "بيشو" بزيارة أخرى لحانوت الجوهري "كوليه" وامضى نصف
الساعة يتحدث إلى المدير .

- اسمع .. عندما يشتري مسيو "لامور" القلادة ينبغي ان ترسلها

إليه مع مندوبين من قبلك تثق فيهما ثقة عمياء .. لا أريد بأي حال من الأحوال أن تتم الصفقة هنا . فقد اتخذت الحيطة الواجبة في الفندق . وساعد إلى أربعة من أقدر رجالي بمرافقة مندوبك أثناء زهابهما إلى الفندق . وإني أؤثر أن تحضر أنت بنفسك لتتسلم الحوالة المالية التي سيقدمها إليك المليونير الأمريكي . ولك أن تصطحب الشرطة السريين في عوبتك لحراستك.

فضحك مدير المحل وقال :

- لا نفع في الحوالة المالية لـ "أرسين لوبين" . !

ثم أرفف يقول :

- أتحب أن تلقى نظرة على القلادة التي ينوي مسيو "لامور"

شراؤها؟

لقد طلبنا ثمننا لها مليوناً ومائتي ألف فرانك ولكن المناقصات انتهت إلى مليون فرنك .. وهذا الأمريكي عنيد خبير بالأحجار الكريمة، وحسبه نظرة يلقاها على الماسة ليقرر ثمنها تقديراً لا يخطئ . وفتح خزانة في غرفة مكتبه وأخرج منها علبة رفع غطاءها فإذا فيها قلادة من الماس والزمرد يبهر سناؤها الإبصار .

وقال :

- بعض هذه الأحجار يزن ثمانية قراريط ..

ثم أشار بإصبعه إلى ماسة كبيرة وقال :

- ثمن هذه الماسة لا يمكن أن يقل عن مائة وخمسين ألف فرنك والواقع أن ربحتنا قليل من هذه الصفقة .. إن مليون فرنك يعد ثمناً بخساً ولكن هذا الأمريكي عنيد ممسك .

* * *

بعد أن رجع "بيشوا" إلى إدارة الأمن العام قابل المدير وكاشفه بالإجراءات التي اتخذها للمحافظة على القلادة النفيسة . وقال مستطرداً وقد استشعر شيئاً من الزهو والفخر :

- إن المسألة في رأيي مسألة إجراءات واحتياطات .. إنني معجب

دون شك بأعمال المفتش "جانيمار" وأقر الأساليب التي يتبعها ولكني لا أقرها بصفة عامة . فإن فيها ثغرات كان ينبغي اتقاؤها .. إنه بكل الأمور في الغالب إلى الصدف . وبذلك ينفسخ مجال الإفلات . ولكني على النقيض منه لم أدع سببا من أسباب الحيلة إلا واتخذته .
فقال المدير العام مؤيدا :

- إنني أشير بالألا تتهاون في استخدام الوسائل التي لدى البوليس ..

فقال "بيشو" :

- بالتأكيد .. بالتأكيد .. وساضرب حول الفندق حصارا بقيقا .. وسارصد نفرا من الرجال في الدهليز وعلى رأس الدرج وفي الأبهاء الكبرى .. فإذا استطاع "أرسين لوبين" بعد هذا كله أن يفر من هذا النطاق فهو إذن شيطان من الجن لا بشر له عقل كعقولنا .

وكان المدير العام يثق ثقة عمياء في كبير مفتشيه "جانيمار" ويعتقد أنه أنكى وأبرع شرطي في فرنسا . فإذا كان قد أخفق في اقتناص "لوبين" فمعنى ذلك أن "بيشو" لابد أن يبوء أيضا بالخيبة . وأصغى المدير في برود إلى حديث "بيشو" فلما سكت قال المدير :

- وهناك نقطة مهمة ينبغي أن تلقى إليها بالألا يا حضرة المفتش .. يجب ألا يغيب عنك أن من المحتمل أن يكون هناك شريك لـ "أرسين لوبين"، فهو بارع نكبي يعرف كيف يدبر خططه بمهارة .

فابتسم "بيشو" وقال :

- وأنا أيضا يا سيدي .. استمتع ببعض الشهرة .
وبلغ من رقة المدير وحسن أدبه أنه لم يسأل "بيشو" إيضاحا أو تفصيلا .. !

وقد صدق "بيشو" حين قال إنه لم يدع شيئا إلى الصدف وإنه اتخذ كل حيلة ممكنة . فقد طلب قائمة بأسماء شاغلي الغرف المجاورة للجناح الذي احتجزه المليونير الأمريكي لنفسه . وراح يدرس .. شخصية هؤلاء النازلين ويتحرى عنهم . بل لقد تحرى عن جميع نزلاء

الفندق دون استثناء .

وكانت الغرفة الملاصقة لمخدع مسيو "بول لامور" تقطنها سيدة أمريكية تدعى مس "جيرث استاسي" حلت بالفندق في نفس اليوم الذي وصل فيه "لامور" ، وهي ذات جسم منيد وقوام شببيه بالرجال . ولا عجب في هذا فقد ذكرت في سجل الفندق انها تحتترف مهنة التدريب على الألعاب الرياضية . وقد انبا "لامور" مفتش البوليس السري انه تحدث إلى هذه السيدة أكثر من مرة فالفاهما رقيقة الجانب حلوة الحديث . ولا ريب فيها إلا انها شديدة الفزع من حرائق الفنادق وقد عللت ذلك بأن حريقا شب في فندق كانت تنزل فيه فلم تنج إلا بشق الانفس بعد أن كانت النيران تلتهما . فاضطربت أعصابها منذ ذلك اليوم ووقع في روعها انها لن تنزل في فندق إلا اندلعت فيه السنة النيران .

وتحول المفتش "بيشو" إلى احد مساعديه قائلا :

- تعقبها .. إنها في رأيي أكثر النازلين في الفندق إثارة للشبهات والريب .

ولكن مطاربتها لم تسفر إلا عن شيء واحد : هو انها توالي الاستماع إلى محاضرات في التربية البدنية والحياة الصحية يلقيها عالم سويدي . ولها في باريس صديقتان اعتادت أن تختلف إلى داريهما لتناول العشاء أو للرقص .

ولكن "بيشو" لم يشأ أن يغضي عنها .. من الخطر أن يتهاون حتى في اتفه الامور . فما كان منه إلا أن عهد إلى شرطية سرية بأن تجعل همها مراقبة هذه المرأة الرياضية وتعقب خطواتها . ثم اختار خمسة رجال من اقدر الشرطة السريين واصدر إليهم تعليماته في شأن ما ينبغي أن يتبع في شتى الظروف والاحوال . كذلك عهد إلى أربعة من الشرطة بمرافقة الجوهري حين يحضر إلى الفندق حاملا القلادة .

وحين فرغ "بيشو" من اتخاذ هذه الاحتياطات بق جرس التليفون في مكتبه :

- أرجو أن تتكرم بالحضور لمقابلتي .

كان المتحدث مدير محلات الجوهرى "كوليه" .

وخف "بيشو" من فوره إلى الحانوت . وقال له مدير الإدارة :

- لقد انتهت المفاوضات الدائرة بيننا وبين مسيو "لامور" . وتم الاتفاق على أن نسلمه القلاية اليوم في الساعة الخامسة بعد الظهر .

وكان هذا هو كل ما يريد "بيشو" معرفته .

وعلى الفور شرع يحرك قطع الشطرنج التي رتبها ونسقها .. أمر بتنفيذ الخطة البوليسية التي وضعها لاقتناص عدوه اللئود : انطلق عدد كبير من رجال الشرطة السريين يراقبون محطات الترام ومحطات السكك الحديدية .. وانتشر نفر منهم في أنحاء الفندق .. في الأبهاء .. وعلى رؤوس الدرج .. وفي الدهاليز المختلفة .. وقبل الساعة الخامسة حين استقل مدير محل الجوهرى سيارته ومعه علية القلاية ركب إلى جواره أربعة من رجال الشرطة السريين المسلحين بالمسدسات .

وعند باب الفندق كان كونستابلان في ثيابهما الرسمية ، وفي دهليز الجناح الخاص بمسيو "بول لامور" يقف شرطيان سريان ساهرين متيقظين .

وكان المفتش "بيشو" جالسا مع المليونير الأمريكى حين وصل الكنز النفيس يخفّره كل هذا العدد من الشرطة .

وضحك "بول لامور" وقال :

- كاننا في معركة حربية ..

وصاح "بيشو" في لهجة امرأة :

اغلقوا الباب ! .

ونفذ الأمر على الفور ! .

وأخرج الجوهرى الغلبة من جيبه .. وضعها على المنضدة .. ورفع الغطاء .. وتحت الأضواء المنبعثة من المصابيح توهجت القلاية ..

وكان لها سنأ يخطف الأبصار !

وقال الجوهرى :

- إنها صفقة رابحة يا مسيو "لامور" . لقد ظفرت بكنز عظيم لقاء
ثمن بخس .

فهز الأمريكي كتفيه في غير احتفال وقال :

- لست أدري إذا كانت صفقة رابحة لي أو لكم . ! ومهما يكن من

الأمر فسأفزع إليكم الثمن الذي اتفقنا عليه . !

وأخرج محفظته فتناول منها حوالة مالية مسحوبة على أحد البنوك

قدمها إلى الجوهري ، ففحصها هذا بعناية ثم بسها في جيبه .

وقال "بيشو" يسأله :

- ما الذي تنوي أن تصنعه بهذه القلادة . ؟ بالتاكيد ستودعها

خزانة الفندق حتى تحين ساعة رحيلك . ؟

فابتسم مسيو "بول لامور" وقال :

- لدي في غرفتي ما هو أمتن وأسلم مائة مرة من خزانة الفندق ، ولا

يعرف سره أو مكانه سواي .. نعم .. سأودع القلادة مكانا خفيا

اتحداك أنت ورجالك أن تهتوا إليه ..

فقطب "بيشو" جبينه وقال :

- ألا ترى أنه يحسن بك أن ...

فقاطعه المليونير الأمريكي بقوله :

- إنني يا صديقي لا أثق بمخلوق . ! لا يعرف هذا المخبا السري

سواي وسأحكم مكانه عنك وعن رجالك .. ما يديني أن أحد رجالك هو

"أرسين لوبين" متفكرا . ! لقد قيل له إنه تنكر مرة واستطاع أن يصير

مديرا للبوليس .

وابتسم "بيشو" وقال في صوت خافت :

- إيه .. أنت وشانك ... وحسبي أنني هزمت "أرسين لوبين" وافسدت

خطته .. ألم يقل إن القلادة بمجرد انتقالها إلى يدك ستنتقل إلى يده . !

ومع ذلك فما هي ذي القلادة في يدك دون أن يجروا "لوبين" على الظهور

لاستلابها .

ثم ضحك وأردف يقول في زهو وخيلاء :

- في هذه المرة لقي "لوبيـن" غريما يعرف كيف يهزمه . !
وحمل "بول لامور" علبة القلادة ودخل إلى مخدعه مسرعا واغلق
الباب خلفه . !

وهز "بيشو" راسه وقال :

- إن لهؤلاء الأمريكـيين طباعا شاذة . !

وكان "بيشو" في حيرة من امره ، لم تكن لديه سلطة كافية تخوله ان
يحتم على "لامور" ان يطلعه على المخـبأ الخفي ، وفي الوقت نفسه شعر
بشيء من القلق حين اثار "لامور" إلى انه من المحتمل ان يكون احد
الشرطة السريين هو "ارسين لوبيـن" نفسه متـنـكـرا ! فكيف يلقي بنفسه
بين انياب الذئب ! و "لامور" على حق في هذا . ! لقد تنكر "لوبيـن" مرة
على صورة "جانيمار" واستطاع ان يخدع اقرب المقربين إليه . !
وآدار "بيشو" بصره في رجاله المحيطين به وجعل يتفحص
وجوههم .

كلا .. هذا لا يمكن ان يكون "لوبيـن" فإنه بعيد الشبه عن الصورة
التقريبية التي يعرفها رجال البوليس عن "لوبيـن" ، وهذا أيضا لا يمكن
ان يكون "لوبيـن" وكذلك هذا الشرطي . واخيرا استقر بصره على
"الجوهري" وهو يسائل نفسه عن حقيقة امره . !

وفجأة انتبه "بيشو" من خواطره على صرخة مدوية . !

صرخة منبعثة من الدهليز تلاها وقع اقدام سريعة .

ووثب "بيشو" إلى باب الغرفة وفتحه في حركة سريعة فلمح امرأة
تجري في الدهليز بكل سرعتها وفي اثرها الشرطيان السريان للذان
يتوليان مراقبة الدهليز .

انعطفت المرأة عند ناصية الدهليز وانطلقت تركض صوب السلم .
وارتد "بيشو" ثانية إلى الغرفة على عجل وانقض على باب مخدع
"لامور" يحاول ان يفتحه .

واستعصى الباب إذ كان موصداً من الداخل .

طرق "بيشو" الباب فلم يسمع جوابا ، نادى وزعق . ولكن دون

جدوى. ثم نادى وزعق . والأمر على ما كان عليه .
فلم يكن منه إلا أن القى بجسده على الباب يدفعه دفعا دون أن يقوى
على تحطيمه . وخف إلى نجدته نفر من رجاله . ورموا بأجسامهم
فوق الباب . فاهتز ثم هوى تحت ثقلهم .

والفوا الغرفة خالية . !

لم يكن فيها أثر للمليونير الأمريكي . !
كانت مخدعا كبيرا مزودا ببابين : يفضي أحدهما إلى الحمام
والثاني إلى الدهليز .

وكان باب الدهليز مفتوحا . !

اختفى "بول لامور" واختفت معه القلادة . !

وكانت نوافذ المخدع موصدة . وكان مستحيلا أن تكون النوافذ هي
منفذ الخروج والغرفة واقعة في الطابق الرابع ، والتسلق إليها أو
الهبوط منها شاق متعذر حتى على القطط والفئران .

وامتقع وجه "بيشو" . لم تكن هناك ريبية في أن شيئا ما قد وقع .
شيء لا يدري كنهه وإن كان يعلم أنه سيفضي إلى نتائج لا ترضيه .
خرج "بيشو" مسرعا إلى الدهليز فرأى الشرطيين وقد رجعا من
المطاردة وهما يقودان امرأة تناضلها وتحاول الفكك منهما وهي
تصرخ وتستنجد .

ولم تكن هذه المرأة غير معلمة الرياضة البدنية مس "استاسي" .
وكانت مس "استاسي" بايعة الغضب شديدة الهياج مضطربة
الأعصاب ، ومرت فترة غير قصيرة قبل أن يهدأ روعها وتسكن نفسها
وتستطيع الكلام .

وقال "بيشو" وقد سار بالفتاة إلى قاعة الاستقبال :

- اسمعي يا فتاتي ودعي الإنكار فإنه لن يجديك شيئا .. إنك شريكة
لـ"أرسين لوبين" .. اليس كذلك .. لقد سلمك القلادة فهربتها . أين مسيو
"بول لامور" ؟ .

وصاحت المرأة في صوت متهدج :

- امعتوه انت ؟ ! من هو "أرسين لوبين" ؟ وعن أية قلادة تتحدث ؟
لقد دق جرس إنذار الحريق فانطلقت هاربة .. ولكني ما كنت أتوسط
الدهليز حتى انقضى علي هذان ..

فنظر إليها "بيشو" في استغراب وقال مقاطعا :

- جرس إنذار الحريق ! ! إن الجرس لم يدق ! !
فصاحت في إلحاح :

- بل دق ! ! وسقط السهم ! ! واشتعل الضوء الأحمر ! !

وسار "بيشو" معها إلى مخدعها فالفأها صديقة فيما نكرت .. كان
السهم هابطا والضوء الأحمر مشتعلا وجرس الإنذار لا يزال يدق .

ورجع "بيشو" إلى غرفة "لامور" فقد تضاعفت بهشته .. وفي ذلك
الوقت كان الفندق وموظفوه قد احتشدوا في المكان يحفزهم الفضول .

وقرروا جميعا أنهم لم يروا مسيو "لامور" .

وأشار "بيشو" إلى باب المخدع وقال :

- وما هذا الباب ؟ .

فاجابه أحد الخدم :

- إنه باب المصعد الخاص بنقل الحقائق .

فطوى "بيشو" الدرج مسرعا حتى انتهى إلى البهو ، فالتقى رجاله
عند الباب يرقبون ، وقد أكدوا له أنهم لم يروا المليونير المختفي .

وهم "بيشو" بالذهاب إلى مكتب مدير الفندق حيث سمع صوتا
يعرفه حق المعرفة يقول :

- ماذا جرى ؟ ! هل أفلت منك .

دار "بيشو" على عقبيه فإذا به يرى نفسه وجها لوجه إزاء "جانيمار"
كبير مفتشي البوليس السري وقد ارتسمت على شفثيه ابتسامة
خفيفة .

وقال "جانيمار" :

- واصلتني رسالتك بعد ظهر اليوم فحضرت على الفور ، لكن يخيل
إلي أنك عانيت بعض المتاعب .

غير أن "بيشو" لم يحر جوابا .. جعل يحملق إلى وجه "جانيمار" وهو صامت ساكن وقد ذكر أن "لوبيين" تفكر يوما على صورة "جانيمار" وأصدر طائفة من الأوامر والتعليمات واستطاع أن يخدع جميع رجال البوليس .

راح يسائل نفسه : أهذا "جانيمار" حقا ؟ أم "أرسين لوبيين" متفكرا ؟
أهي خدعة أخرى من خدع "لوبيين" ؟
وقال "جانيمار" :

- ماذا دهاك ؟ لماذا تحملق إلي كالمجانين ؟

وأخيرا تكلم "بيشو" قائلا :

- هل أنت .. هل أنت "جانيمار" ؟ !

فقطب "جانيمار" جبينه وقال :

- هل أنا "جانيمار" ؟ هل أطارت الهزيمة صوابك يا بني ؟ عد إلى إدارة الأمن العام وضع على رأسك كمادة باردة وانتظرنني حتى أوافيك .
وسار "بيشو" دون أن ينبس بكلمة .

* * *

في مساء تلك الليلة بعينها دعي المفتش "بيشو" إلى مقابلة "جانيمار" كبير مفتشي البوليس السري .

وتكلم "جانيمار" في صوت هادئ ولكنه بارد النبرات قائلا :

- دعني أولا أكاشفك بالسبب الذي حملني على مغادرة مصيبي والحضور مسرعا . جاعتنني رسالتك في الصباح ولكني لم اتسلمها إلا ظهرا إذ كنت غائبا عن الفندق . فما تلوتها حتى أدركت أن "أرسين لوبيين" قد اغتنم فرصة غيبيتي ليستغل سذاجتك و .. وقلة خبرتك . لقد أذعت في الصحف أنك حللت مكاني . فانت محب للشهرة والإعلان فما قرأ "لوبيين" ذلك حتى تحرك للعمل . بعث خطابا معنونا باسمي وهو يعلم أنني في عطلة ، كان موقنا أنك ستفرض الرسالة وقد توليت الأمر مكاني . وقد تعمد ذلك حتى تقول في نفسك : "لو كان "جانيمار" هنا لارتكب عدة أخطاء ولأقلت منه "لوبيين" ، أما أنا فلن يقلت مني .

وهكذا يمتلىء صدرك غرورا . والغرور إذا ركب إنسانا استحبال عليه
أن يحسن التدبير واستحبال عليه أن يتبين بداعة الأمور .
فقال "بيشو" معترضاً :

- كيف تقول هذا وقد اتخذت كل حيلة ممكنة ؟ لقد نثرت رجال
البوليس حول ..

فقاطعه "جانيمار" بقوله :

- ولكنك غفلت عن الشيء الوحيد الذي كان ينبغي أن تفعله !

فقطب "بيشو" جبينه وقال :

- وما هو هذا الشيء . !

- اتعرف شركة كولييه وشركاه لتجارة الجواهر ؟

فقال "بيشو" في دهشة :

- بالتأكيد . إنها الشركة التي باعت القلادة إلى المليونير الأمريكي

"بول لامور" . !

فابتسم "جانيمار" وقال :

- لست أسالك عن هذا ، إن صاحب محلات "كولييه" رجل غني واسع

الثراء يدعى

فقال "بيشو" مقاطعاً :

- يدعى "شابيه" .

- تماماً .. ولكنه كان منذ سبعة أعوام يتسمى باسم آخر ما لبث أن

تخلّى عنه واتخذ لنفسه اسم "شابيه" .

- وما هذا الاسم الآخر . ؟

- "لامور" .. "بول لامور" . !

فاتسعت عينا "بيشو" دهشة وقال :

- "بول لامور" ؟

- نعم .. وحين قال "لوبيز" في رسالته إنه سيسرق مليون فرنك أو

ما يعادله من "بول لامور" - كان يقصد بطبيعة الحال صاحب شركة

"كولييه" الذي كان يسمى نفسه فيما مضى "بول لامور" .. !

فقال "بيشو" متسائلاً :

- ومن يكون إذن "بول لامور" المليونير الأمريكي .. ؟

فابتسم "جانيمار" ابتسامة ساخرة وقال :

- "أرسين لوبين" بالتأكيد .. !

فصاح "بيشو" في لهجة المصعوق :

- "أرسين لوبين" ؟ !

- نعم يا صديقي ! .. هو بعينه ! بلحمه ودمه ! فالمليونير الأمريكي

الذي سهرت على حمايته هو "أرسين لوبين" .. !

- والحوالة المالية التي قدمها إلى الجوهري .. !

- مزورة بالتأكيد .. لو أنه قدم الحوالة إلى الجوهري مباشرة لما

رضي هذا بإنهاء الصفقة وتسليم القلادة إلا بعد أن يصرف قيمة

الحوالة من البنك ولكن الجوهري تهاون في هذا الأمر ثقة منه

بعميله.

وكانت شهادتك عن هذا العميل هي عماد الثقة .. ألم تقل للجوهري

أن "بول لامور" من أصحاب الملايين الأمريكيين .. ! ألم تقل له إن مدير

بوليس نيويورك كتب إليك يوصيك بالسهر على سلامته .. !

- وخطاب مدير بوليس نيويورك ؟ ..

- كالحوالة .. مزور أيضا . ! ولو أنك أبرقت إلى نيويورك لجاءك

منها الجواب الحاسم .. !

وتهاك "بيشو" على أحد المقاعد إعياء . واسترسل "جانيمار" يقول :

- أما جرس إنذار الحريق فخدعة أخرى من خدع "لوبين" ...

كان يعلم أن الفتاة الأمريكية التي تقطن إلى جواره تخاف الحرائق

التي تشب في الفنادق فما كان منه إلا أن اختار اللحظة المناسبة لإثارة

فرعها .

انفذ سلكا من الجدار أثناء غيبتها وأوصله بجرس الإنذار . وخين

دخل إلى مخدعه والقلادة معه دق جرس الإنذار ففرغت المرأة وانطلقت

تجري في الدهليز وقد وقع في روعها أن النار شبت في الفندق . وما

أن رآها الرجلان اللذان أرصدتهما في الدهليز للمراقبة حتى رابهما

أمرها فانطلقا في إثرها، واغتتم "أرسين لوبين" هذه الفرصة فخرج من

مخدعه بواسطة الباب المفضي إلى الدهليز . وفتح باب مصعد الحقائق المواجه له وهبط إلى الطابق الأرضي وخرج إلى الطريق من كوة الحقائق المتصلة بالمصعد بينما كان رجالك يحرسون أبواب الفندق !

وكان "بيشو" يستمع إلى هذا الحديث وهو صامت مذهول !
وقال "جانيمار" وهو يضحك .

- "بيشو" شرطي عظيم .. ! وهو الذي .. سيقتنص "أرسين لوبين" اليس كذلك .. ؟

ولم يجد "بيشو" كلمة يرد بها على هذا التهكم .

الفصل السابع

شارل دوجيفال : كاتب كثير الإنتاج .

ولكنه لم يبلغ بعد مرتبة ذلك الروائي الذي يخرج رواية في كل اسبوع - إن صدقت الشائعات - ومسرحية في كل اسبوعين ، وإذا كان هذا الروائي قد اثرى من قلمه واصاب من ورائه ربحا ضخما ، فإن صاحبنا "دوجيفال" لم يكتسب فرنكا واحدا من مقالاته التي اعتاد أن يوالي بها الصحف .. ولا عجب فقد كان يطرق موضوعات لا يخطر ببال أصحاب الصحف أن يستكتبوا الكتاب فيها من امثال : تاريخ علم الانساب والسلالات - ضرورة الاقتصاد بين الطبقات الفقيرة ... الخ

اما عن ضرورة الاقتصاد بين الفقراء فموضوع يعد "دوجيفال" حجة فيه .. لأنه يفرض على مستاجري مساكنه (وكلمهم من الفقراء) إيجارات باهظة ، فلا مندوحة لهم من الاقتصاد حتى يتسنى لهم أن ينقوه الإيجارات المطلوبة . !

و "دوجيفال" رجل مسكين قليل الحظ .. فمستاجروه ناقمون عليه . ! وموظفوه ناقمون عليه . اما الاولون فيحدثونك عن المساكن المتداعية التي يؤجرها لهم ، وكيف انها في حاجة إلى تجديد وترميم وإصلاح ومع ذلك يتقاضى عنها إيجارا مرتفعا . اما الموظفون والعمال الذين يستخدمهم في مصانعه فيحدثونك عن الأجور التافهة التي يدفعها ، وساعات العمل الإضافية التي يرهقهم بها .

ولقد أشار "دوجيفال" يوما في إحدى مقالاته إلى هذه الشكايات .. اعني إلى التذمر الذي يفشو بين طبقات العمال والموظفين .. وراح يؤكد ان أصحاب المصانع من أرق الناس قلبا ، وان عمالهم يتجنون عليهم ويرهقونهم بالمطالب الجائرة ، وان صاحب المصنع لا يكاد يحصل من الربح على ما يعادل أجر رئيس عماله او كبير كتابه . ! إن عبارات السخط التي تتردد إنما تجري بإيعاز من الاشتراكيين والشيوعيين

الذين يرمون إلى قلب نظام العالم وإحلال الفوضى محل القانون . وإن واجب الحكومة يقضي عليها بأن تضرب بيد من حديد على المهيجين الاشتراكيين ودعاة الشيوعية .

وقد أظنّب "شارل دوجيفال" في هذا البحث ، ووجد في الشيوعية مجالا خصبا لإثارة حملة قاسية مستمرة .. فراح يعزو إليها كل المفاسد ويسند إليها جميع المساوئ .

ولكن لو أن الحقيقة قيلت لعرف الناس أن هناك الوفا من الموظفين والمستاجرين والعمال يكرهون الشيوعية بقدر ما يكرهون "شارل دوجيفال" .

ولا شك أن "إيفون دورني" كانت بين الذين يبغضون "دوجيفال" . حقيقة كان "دوجيفال" معها سخي اليد ، كريم البذل ، ولكن كرمه لم يبريء جراح قلبها الكسير .. وحقيقة : "إن هذه الأشياء" تقع كثيرا كما قال "دوجيفال" على طريقته الفياضة بالصلف والخشونة ، ولكن قوة حجته لم تقنع الفتاة المسكينة .

كانت "إيفون" تشتغل سكرتيرة لمسيو "شارل دوجيفال" .. وبعد عام أمضته في خدمته اضطرت إلى أن تعتزل العمل . وسافرت إلى مارسيليا ، فاتخذت لنفسها غرفة صغيرة في نزل حقير .. واستمر "دوجيفال" يرسل إليها في كل أسبوع مائة فرنك .. لتنفق منها على نفسها وعلى .. وعلى الطفلة . !

وفي ذات يوم هبط مارسيليا رجل غريب الأطوار .. محب للعزلة والاعتكاف عن الناس .. ولم يجد هذا الرجل أصلح لإقامته من النزول في نزل (شوفيه) الذي اتخذت "إيفون" مسكنها فيه .

كان الرجل كهلا وخط المشيب رأسه .. وفي عينيه بريق يدل على الطيبة وسلامة الطوية .. وكانت له طريقة في انتزاع الثقة من الناس وحملهم على الركون إليه .. والإفضاء له بكل ما تجيش به صدورهم من أسرار خاصة .. وكان محبا للأطفال يعرف كيف يجتنبهم إليه .. وكيف يداعبهم ويطرفهم بالحكايات المسلية .. فما أقام في النزل أياماً

حتى احبه جميع من فيه .. كبارا وصغارا .. رجالا ونساء .
وهكذا .. في خلال الاسابيع التي كان "جانيمار" يبحث فيها عن
"ارسين لوبين" .. وينقب كل ركن في فرنسا (عدا نزل شوفيه) سعيا
وراءه - كان "لوبين" قابعا في النزل يستمع إلى قصة "إيفون دورني"
وهي تحدثه بما جرى بينها وبين "شارل دوجيفال" ، وكيف اغاوها بعد
أن مناهها بالوعود الخلابه . وكيف كانت تختلف إلى داره سرا في كل
ليلة دون أن يشعر بها أحد .

- وكيف هذا ؟ .. ! واين الخدم إذن ؟ ..
- لم يكونوا يرونني .. كنت أتسلل إلى غرفة مكتبه مباشرة من
سرداب سري متصل بالجراج .
وحدثه عن السرداب السري .

كان "شارل دوجيفال" حريصا على سمعته فانشأ هذا السرداب حتى
تختلف إليه عشيقاته عن طريقه دون أن يدري بامرهن أحد .
ولكنه لم يكن حريصا على سمعة الفتيات اللاتي يغرب بهن .. !
وارته "إيفون" صورة فوتوغرافية لـ "شارل دوجيفال" كتب في نيلها
كلمة إهداء "إلى حبيبتي إيفون دورني" .

كانت المسكينة وهي تتحدث تكاد تبكي لفرط ما تحس به من عذاب
وقلبها يتفطر حزنا .. بعد أن أصاب منها كل ما ينشد نبذها هي
وطفلتها .. ! وقال لها بلا مبالاة "إن هذه الأشياء تحدث كثيرا .. !
ووعدها بأن يواليتها بمائة فرنك في كل اسبوع . وقد بر بوعده ..

ولكن اتغنى المائة فرنك عن عدم اندمال الجروح المعذبة .. !
ورثى الشيخ الطيب القلب للفتاة المسكينة وراح يعزيها بما حضره
من كلمات محاولا أن يخفف وقع المأساة على نفسها .

ويقيم "شارل دوجيفال" في بيت جميل في شارع الجيش ، وكان من
عادته أن يمضي إلى مقر شركته في كل صباح فيقضي في مكتبه
ساعتين ينحي باللائمة في خلالها على جميع رؤساء الاقسام ، ويزعق
في بعض الموظفين ثم يدير في قوائم المرتبات عين نسر فاحصة

ويجري بقلمه الأحمر عليها فيخفف بعضها ويخصم من بعضها ولكن من المحال أن يرفع أحدها .. ! ثم يستدعي إليه المدير ويلقي عليه محاضرة طويلة عريضة في أنه قد بدأ عمله وهو لا يملك فرنكا ولكنه استطاع بالجد والمثابرة والنشاط أن يجمع ثروة ضخمة .. ! ولكنه لا يذكر مطلقا أن استنزاف دماء العمال وبخسهم أجورهم تلك أهم عاملين في تكوين هذه الثروة .. !

فإذا ما فرغ من هذه المحاضرة اليومية رجع إلى داره وجلس إلى مكتبه القريب من النافذة مرسلا بصره إلى الحديقة الغناء ، ثم يشرع في تحرير مقالاته أو محاضراته التي اعتاد أن يلقيها في مختلف الأندية والجمعيات .

وكانت غرفة مكتبه آية في الجمال .. تشرف على حديقة تنتظمها الأزهار.. وينتشر في أركانها اثاث فاخر بديع الصنع .. لم يكن هناك وجه للمقارنة بين هذه الغرفة وبين الجحور القذرة التي ينام فيها موظفوه . ولا بينها وبين الأكواخ المتداعية التي يعيش فيها مستاجروه .. ويموتون .. !

سمع "شارل دوجيفال" وهو منهمك في كتابة مقاله نقرا خفيفا على الباب وقال :

- ادخل ..

ودخل خادم يرتدي ثيابا مزركشة ويحمل صينية مطعمة بالذهب فوقها بطاقة. فقد كان "دوجيفال" مولعا بالمظاهر والرسميات . تناول "شارل دوجيفال" البطاقة فالتقى عليها نظرة مقطبة ثم قال متمتما :

- المفتش "جانيمار" . ليت شعري من يكون "جانيمار" هذا .. ؟ وماذا يبتغي مني .. ؟ أدخله ..

ودخل "جانيمار" .

وامتعض "دوجيفال" لرؤيته .. امتعض إذ أدرك أن هذا الشرطي لا يحفل بالمظاهر والرسميات .. إنه رجل قليل المبالاة والاحترام للناس.

وهذه طباع "اشتراكية" لا يقرها "دوجيفال" .. طباع بثها دعاة الشيوعية
الملاعين .. !

والقى "جانيمار" بقبعته على الأرض تحت أحد المقاعد واستوى
جالسا دون أن يدعوه رب الدار إلى الجلوس .. وامتعض "نوجيفال"
للمرة الثانية .

قال "نوجيفال" في لهجة تدل على نفاد الصبر :

- نعم يا سيدي . ؟ أظنك جئت تقابلني بشأن صرافي الذي اختلس
جانبا من الإيرادات ؟ إنني أوتر أن تقابل وكيل الإدارة ، إذ لم تجر
عائتي أن ..

ولكن "جانيمار" قاطعه بقوله :

- كلا .. إنني ما جئت أحدثك في شأن الصراف المختلس يا مسيو
"نوجيفال" ، وإنما جئت في شأن مقالك الذي ظهر في عدد هذا الصباح
من جريدة (لا كوريير) .. مقالك الذي تحدثت فيه عن الجريمة والمجرمين
وناديت بضرورة فرض عقوبة الإعدام على المجرمين معتادي الإجرام .
طاب هذا الحديث لـ "شارل نوجيفال" فترجع قليلا في مقعده وقد
انبسط أساريه .. إدارة الأمن العام قد اهتمت بمقاله . ! رجال
البوليس وعلى رأسهم كبير المفتشين يقيمون وزنا للآراء التي يبديها .!
ما أعظمه نجاحا !

وقال "نوجيفال" :

- أه .. بالتأكيد . ! بالتأكيد . ! لقد نسيت .. وأظنك تشاطرني رأيي
يا حضرة المفتش في أن المجرم المعتاد الإجرام لا يستحق أقل من
الإعدام . إنه وحش على ..

وللمرة الثانية قاطعه "جانيمار" الذي لا يفهم في المجاملات قائلا :

- إن رأيك عن المجرمين معتادي الاجرام لا يعنيني في قليل او كثير .
فبدا الامتعاض جليا على وجه "نوجيفال" ، ولم يحاول أن يخفي ما

بنفسه .

واسترسل "جانيمار" قائلا بون ان يبالي بامتعاض رب الدار :
- في مقالك عن الجريمة والمجرمين تحدثت عن لص معين ، "ارسين لوبين" . وقلت ان من العار ان يظل هذا اللص مطلق السراح والبوليس عاجز عن القبض عليه والاقتصاص منه على ما اقترف من جرائم .
فاغتنمها "شارل دوجيفال" فرصة للانتقام من "جانيمار" وقال :
- ولا ازال عند هذا الرأي .. ! نعم إنه لعار كبير ان يبدي البوليس مثل هذا العجز الشائن .. ! لا شك ان مقالتي أحدث رجة في إدارة الامن العام . ؟ اني أسف دون شك ولكن لا يسعني إلا ان اقرر الحقيقة فبصفتي كاتباً اطرق موضوعاً ذا صلة بالصالح العام لا مفر لي من تريد ما اعتقد ان السن الناس جميعاً تجري به .
فضحك "جانيمار" وقال :

- إن قراءة مقالاتك تذل لي يا مسيو "دوجيفال" ولكني أوكد لك انها لم ولن تحدث رجة في إدارة الامن العام . إن رجال البوليس يعلمون قبل ان يتولوا مهنتهم ان اصحاب هذه المناصب عرضة للنقد وللحملات القاسية . فإذا مر يوم لم تستهدف فيه الحملات وقع في روعنا ان الناس قد جنوا . ! ولكنني جئت لغاية أخرى .. جئت لاندرك بان من الخطر الجسيم ان تحشر اسم "ارسين لوبين" في مقالاتك . إنك بذلك تبسترعي انتباهه وتجري على نفسك الاخطار ولا سيما ان لدينا من الاسباب ما يجعلنا نعتقد انه كان مقيماً في الايام الأخيرة في نزل "شوفيه" .. !

فقطب "شارل دوجيفال" جبينه .. نزل "شوفيه" . ؟ إنه يذكر هذا الاسم .. ولكن باية مناسبة . ؟
فقال متسائلاً :

- نزل شوفيه ؟ وما أهمية ذلك ؟
وفي هدوء اجابه "جانيمار" بقوله :
- تقيم في نزل "شوفيه" فتاة تنتحل لنفسها اسم مدام كالمار ولكننا

نعرف ان اسمها الحقيقي هو "إيفون دورني" .. كما نعرف انها كانت تعمل سكرتيرة لك .. ولست أدري إذا كان لديها من الأسباب مايثير نقمتها عليك ام لا .. ولكن كل الظواهر تدل على انها شديدة النقمة عليك .. كانت سكرتيرة لك .. وهي فتاة حسناء ! .

فقال "نوجيفال" مقاطعا :

- إني اعرف كل شيء يتعلق بمس "إيفون دورني" . ! كان من سوء حظها أن .. ولكن ما الداعي إلى إثارة هذا الموضوع ، ولست أحب أن اتحدث إليك في شأنها .

فقال "جاننيمار" في أسلوبه الجاف المنطوي على الخشونة :

- وأنا أيضا لا أحب أن اتحدث إليك في شأنها يا مسيو "نوجيفال" ، إن إدارة الأمن العام تهتم عادة بما هو أخطر من حادثة مس "إيفون دورني" ولكن يهمني ان اكشفك بامر له خطورته وهو : إذا كان الرجل الذي امضى اسبوعين في نزل "شوفيه" هو "أرسين لوبين" فثق انك ستسمع باسمه عاجلا .. ولهذا انصحك بان تكف عن إقحام اسمه في مقالاتك حتى لا تسترعي اهتمامه . ! وهذا كل ما لدي . !

فنهض "شارل نوجيفال" واقفا واقترب من "جاننيمار" وقال له في لهجة حادة: - دعني اصارك يا مسيو "جاننيمار" بانه قد انهشني ان تتقدم إلي بمثل هذا الاقتراح . ! إن واجب البوليس يقضي عليه بحمايتي ، ولكن الحماية لا تكون بإسداء أمثال هذه الاقتراحات التي تدل على الجبن والتخاذل .. الا يقضي علي الواجب بصفتي مواطنا شريفا ان اناذي بضرورة القبض على هذا اللص ؟ ! واعلم أيضا يا مسيو "جاننيمار" ان واجبي يقضي بان اوالي الحملة على رجال البوليس وما يبدون من ضعف وعجز وجبن ! وساجعل من هذا البحث موضوعا لرسالتي التالية إلى صحيفة (لا كوريير) .. ولن اتحاشى الإشارة إلى "أرسين لوبين" ! نعم .. سانادي بملء صوتي بان "لوبين" حر طليق .. وان البوليس عاجز عن القيام بواجبه . !

وهز "جاننيمار" كتفيه في غير اكتراث ونهض واقفا وهو يقول :

- ألم يخطر ببالك أن في وسعنا أن نتخذ منك طعاماً لا تقتناص
"أرسين لوبين" .. وأن واجبنا يصبح أهون وأسهل لو أننا شجعناك على
إثارتها واسترعاء انتباهه . ؟! من صالحنا أن نشجعك على الكتابة
حتى إذا حاول "لوبين" الدنو منك وجدنا في انتظاره .. ولكنني غلبت ..
سلامتك على مصلحتنا وبأثرت إلى تحذيرك فافعل ما بدا لك . !

* * *

والواقع إن هذه الفكرة لم تخطر ببال "شارل دوجيفال" .. بل إنه لم
يقتنع بها حتى بعد أن كاشفه بها "جانيمار" ، فما أن انصرف الزائر
حتى شرع "دوجيفال" في كتابة مقاله الثاني عن الجريمة والمجرمين ..
كان في أول الأمر منهمكا في تحرير كلمة عن "علاج الفقراء" ضمنها كل
علاج ممكن وإن كان قد أغفل علاجين خطيرين هما : رفع أجور
الموظفين والعمال ، وتخفيض إيجارات المساكن . ! ولكنه أثر أن يرجئ
علاج الفقر حتى يفرغ من علاج الجريمة والمجرمين .
وبقى "دوجيفال" الجرس يستدعي سكرتيه ، وأمره بأن يوافيه على
الفور بكل ما لديه من معلومات عن "أرسين لوبين" . !

ثم استهل مقاله بالعبرة الآتية :

"حين تحدث الموسيقى (بلليني) عن نعمة الكسل ، وتمضية الأيام بلا
عمل - لا شك أنه كان يعني بكلمته رجال البوليس في هذه الأيام
وموقفهم الشائن إزاء ذلك اللص الشرير المدعو "أرسين لوبين" .."
واسترسل "دوجيفال" في مقاله بحماسة والفاظ رنانة قوية ، فحمل
حملة شعواء على موقف البوليس ، وطالب بشدة بضرورة إصلاح نظم
الأبحاث الجنائية .. بل لقد طالب بإقالة جميع رؤساء البوليس
وإحلال سواهم مكانهم .. ودلل على صحة رأيه باستعمال بعض
التعبيرات الطبية فقال : إن إدارة الأمن العام في حاجة إلى دم جديد . !
ولكن مقاله الملتهب غيرة ورغبة في الإصلاح لم ينشر بحذافيره ، فقد
اقتص بعض جوانبه المنظم الذي يتولى "توضيب" الصفحة فرفع
شطراً منه لينشر إعلاناً عن سباق الكلاب !

وقرا "جاننيمار" المقال واغرق في الضحك وقال :

- مسكين هذا الرجل . ! إنه يجهل أن كوبيين قد بدأ يهتم به . !

اما المفتش "بيشو" فابتسم وقال :

- ولكني اشاطره رايه ، إن إدارة البوليس السري في حاجة إلى دم جديد . !

فقال "جاننيمار" :

- وانت نون شك هذا الدم الجديد ؟ !

- ولم لا . ؟

فنظر "جاننيمار" إلى رؤوسه في غيظ مكتوم ثم قال متهمكا :

- صدقت .. فإدارة البوليس في حاجة إلى براعتك التي اظهرتها في قضية الجوهرى "بول لامور" . !

ثم أخذ يقهقه ضاحكا وقال :

- ها .. ها . "بيشو" يحرس المليونير الأمريكى "بول لامور" ضد "أرسين كوبين" .. على حين أن المليونير هو نفسه كوبيين . ! ها .. ها يالك من شرطي نابغ يا عزيزي "بيشو" . ! نعم إننا في حاجة إلى نبوغك وعبقريتك . !

وسكت "بيشو" على مضض . ! إذ كانت هذه الحادثة شوكة في حلقة . !

* * *

بعد يومين من ظهور المقال حمل "البريد" خطابا إلى "شارل دوجيفال" وكان الخطاب مكتوبا بالآلة الكاتبة .. وهذا نصه :

إنك كاتب عظيم .. قوي الأسلوب .. فهل لك يا ترى هذه المقبرة في المحاضرات والمناظرات ؟ ! إن في نيتي أن أقيم حفلة ساهرة بمناسبة عيد رأس السنة ادعو إليها جميع مستاجري مساكنك البؤساء ، وقد استاجرت صالة البلدية لهذا الغرض .

ففي الساعة التاسعة من مساء ليلة رأس السنة ساصعد إلى منصة

الخطابة في قاعة البلدية لاناظرک في موضوع عقوبة الإعدام وهل من
الأصلح إبقاؤها أو إلغاؤها .. فهل أنت على استعداد لمناظرتي ؟
أطلع المفتش "جانيمار" على هذا الخطاب .. وأجب عن طلبي في قسم
الإعلانات في صحيفة (الاکوريير)

"أرسين لوبين"

وغمغم "شارل دوجيفال" يقول :

- يا للشيطان ! .. يا للجرأة ! ..

واتصل تليفونيا بإدارة الأمن العام ، وطلب إلى "جانيمار" أن يحضر
لمقابلته .. وهاجت ثائرته حين دعاه "جانيمار" إلى الحضور إلى مكتبه
إذا كان في حاجة إليه . !

وقال "دوجيفال" :

- إنني لن أخرج بعد ظهر اليوم .

فكان جواب "جانيمار" أن قال في هدوء :

- وكذلك أنا . ! يمكنك أن تحضر لمقابلتي في تمام الساعة الثالثة ..

وساخصك بعشر دقائق ليس غير .

وطاطا "دوجيفال" من كبريائه ومضى إلى إدارة الأمن العام في الموعد
المحدد، ولكن "جانيمار" تعمد أن يبقيه في الانتظار ربع الساعة قبل أن
يأذن له بالدخول عليه .

وتناول "جانيمار" الخطاب فتلاه في صوت مرتفع ثم قال :

- نعم .. ؟ وهل تنوي أن تقبل هذا التحدي ؟ .. !

فحملق "دوجيفال" إلى وجهه وقال : أقبل :

- هذا التحدي .. ؟ أتريد أن تقول : إن هذا اللص سيحضر حقيقة
إلى قاعة البلدية في الساعة التاسعة من مساء رأس السنة
ليناظرني .. ؟ هذا أمر مستحيل .. !

فقال "جانيمار" في هدوء :

- إذا قال "أرسين لوبين" : إنه سيحضر إلى قاعة البلدية فاعلم أنه

سيحضر .. !

- على الرغم من رجال البوليس .. ؟
- وعلى رغم رجال البوليس .. ! ولست أدري ما سيحدث بك إذا ما حضر ... لكنني موقن على الأقل ، من أن ما سيحدث بك سيرضي أعداك ويحزن أصدقائك .. ! وأرى أن تعلن في (لا كوريير) بقبولك المناظرة وسأبذل كل ما في وسعي لحمايتك .
ولم يكن "نوجيفال" خائفا ولكنه كان دهشا .
وقال :

- تريد يا حضرة المفتش أن تقول ..
فقاطعه "جاننيمار" بقوله :
إنني رئيس المفتشين .. !
فقال "نوجيفال" وقد نفذ صبره :
- وهل كونك مفتشا أو رئيسا للمفتشين امر ذو أهمية .. ؟ إنك شرطي تمنح مرتبك لحماية الناس .. وهذا كل ما يعنيني من أمرك !
أتريد أن تقول : إنك تنتظر نظرة جبية إلى هذا الخطاب .. ؟
- نعم .. وانصحك أن تحذو حذوي ..

في الأيام القليلة المقبلة أصاب مسيو "شارل نوجيفال" شهرة عريضة مدوية.. لقد أذاع في الصحف نص الخطاب الذي جاءه من "أرسين لوبين" فلم يعد للناس من حديث إلا عن هذه المناظرة .. في ليلة رأس السنة سيظهر "لوبين" علانية على ملا من الناس . ستجري بينه وبين "نوجيفال" مناظرة علنية . ! لقد بلغت جراءة "لوبين" حداً يذهل العقول ويحيرها .. !

ودلت التحريات على أن قاعة البلدية التي ستجري فيها المناظرة قد استؤجرت فعلا في الليلة المعهودة .. ! استأجرها أحد المحامين لحساب موكل مجهول .. وقد دفع الإيجار مقدما .. وتولى أحد المطاعم الكبرى صف المقاعد وإعداد المرطبات لثلاثة آلاف شخص .. وبفع الأجر إلى المطعم مقدما أيضا .

وأشارت بعض الصحف بضرورة إلغاء العقد وعدم تاجير القاعة

ولكن إدارة الأمن العام تدخلت في الأمر وأشارت بإبقاء الحال على ما هي عليه ، فإن في ذلك فرصة لاقتناص "أرسين لوبين" .

واستدعى "جانيمار" صاحبه "بيشو" وقال له :

- والآن ما رايك في هذه الفرصة الجديدة .. ؟ لقد افلت منك "لوبين" في المرة السابقة .. اعني في حادث المليونير الأمريكي . فهل لك أن تجرب حظك في هذه المرة ؟ .

فاشرق وجه المفتش "بيشو" وقال :

- وهذا ما كنت اصبو إليه .. ! سأظفر به هذه المرة ولن أخطئ كما

أخطأت من قبل .. !

فضحك "جانيمار" وقال :

- فليكن لك ما تريد .. ولكن اعلم أنها فرصتك الأخيرة .. إنني اعلم أن "لوبين" سيبر بوعده وسيظهر على منصة الخطابة . وكنت احب الا يتمكن من الإفلات .

- فثق أنه لن يفلت . !

وفي صباح احد الأيام حمل البريد إلى كل مقيم في مسكن من مساكن "شارل بوجيفال" بطاقة دعوة لحضور المناظرة التي ستجرى بين "بوجيفال" وبين "أرسين لوبين" في موضوع عقوبة الإعدام وصلاحياتها أو عدم صلاحيتها .

وفيما بين يوم وليلة أصبح "بوجيفال" أشهر أهل باريس .. وكان إذا دخل مطعما .. أشار إليه الناس وراحو يتهامسون !

هذا هو الرجل الذي سيناظر "أرسين لوبين" . !

ولما اقترب الموعد المحدد للمناظرة قال "جانيمار" يخاطب المفتش "بيشو" :

- اعلم أنك تكفلت بهذا القضية ولكن اتسمح لي بأن انلي باقتراح

صغير .

فهز "بيشو" كتفيه في غير اكتراث وقال :

- تكلم .

فقال "جانيمار" :

- انصحك بان تعد خارج البلدية اربعة اطباء وعربة إسعاف لنقل

"شارل دوجيفال" إلى المستشفى .

- ولماذا اربعة اطباء ؟ .

فكان جواب "جانيمار" :

- طبيبان يتوليان العناية بـ"دوجيفال" .

- والآخران ؟ .

- ليتوليا العناية بك انت . !

وقهقه ضاحكا . !

فقال "بيشو" :

- اضحك كيف شئت . ! غدا ستقر بنبؤغي . !

- إنني أقر به منذ حادث المليونير الأمريكي "بول لامور" . !

ولما اقتربت الليلة الموعودة تلقى مسيو "شارل دوجيفال" الخطاب

الثاني .

وكان هذا نصه :

"أرجو ألا تتخلف عن الحضور .. عندما اصعد إلى منصة الخطابة

في تمام الساعة التاسعة سانتظرك عشر دقائق . ولن أزيد عليها بقيقة

واحدة ."

ولكن مسيو "دوجيفال" كان في تلك الأيام قليل الاهتمام بـ"أرسين

لوبيين" إذ ظهر في الميدان مناظر جديد استرعى الأبصار . فقد تلقى

"دوجيفال" رسالة من رجل إنجليزي الجنسية يدعى "آرثر أنوس" ذكر

فيها أنه من أشد أعداء عقوبة الإعدام وأنه لا يفتأ ينادي في كل بلد

يحل به بضرورة إلغاء هذه العقوبة الهمجية . وأبدى استعداداه

للاشتراك في المناظرة إذا تخلف "أرسين لوبيين" عن الحضور (كما هو

المنتظر) . وقال إنه يجيد الفرنسية كابنائها . وبعد وصول هذه الرسالة

إلى "دوجيفال" حضر صاحبها بنفسه يزوره . وكانت هيلته تدعو إلى

الاحترام ولا تثير في النفس شيئاً من الشكوك . وكانت له لحية طويلة

نامية تحملك على تبجيله .

وقال مستر "آرثر أنوس" :

- إنك .. ستذهب يا سيدي إلى قاعة البلدية . وستعد خطابك ..
وستدرس موضوع المناظرة حق الدرس .. فليس من الإنصاف إذا ما
تخلف "أرسين لوبين" ، أن تعود أنراجعك بون أن تلقي كلمتك .. ولهذا
ساحضر إلى القاعة بصفتي مناظرا احتياطيا فإذا تخلف "لوبين"
حللت مكانه فما رأيك في هذا ؟ .

وطابت الفكرة لـ "شارل بوجيفال" إذ كان قد أعد كلمته فعلا وكتبها
على الآلة الكاتبة . فوعده بالتفكير في الأمر ومكاشفته براهه فيما بعد .
ولكنه رأى على سبيل الحيلة أن يخطر إدارة الأمن العام بالأمر .
وقال المفتش "بيشو" :

- "آرثر أنوس" ؟ . إنني لا أنكر هذا الاسم .

واسرع إلى التليفون واتصل بـ "بوجيفال" وقال له :

- لا ترفض طلبه ... وأين يقيم ؟ .

- لا أبري فانا لم أسأله .. ولكنه سيخاطبني الليلة تليفونيا ليعرف
ما استقر عليه عزمي . ويخيل إلي أنه رجل ظريف حلو الحديث .
فقال "بيشو" وهو يبتسم :

- بالتأكيد .. بالتأكيد .. لا بد أن يكون ظريفا حلو الحديث .

ثم قال في نفسه : وهل زعم أحد أن "أرسين لوبين" ليس ظريفا حلو
الحديث ؟ .

وكما فعل "بيشو" في قضية المليونير الأمريكي "بول لامور" فعل أيضا
في هذه القضية .. اتخذ احتياطات دقيقة فحضر حصارا شاملا حول
دار البلدية عماده عدد كبير من رجال البوليس الراكب يدفعون بعيدا
عن الباب الجماهير المحتشدة التي جاءت يحفزها الفضول ، وانتشر
رجال البوليس السري في كل مكان . وصدرت الأوامر بعدم السماح
لأحد بالدخول عدا الذين يحملون بطاقات الدعوة .

وقال المفتش "جانيمار" ينصح "بيشو" :

- تذكر شيئاً مهما .. حين يريد "أرسين لوبين" أن يتنكر ، فهو لا يعتمد على اللحي المستعارة والأنوف المصطنعة .. كلا .. إنه ينتحل شخصية رجل ما فإذا به يصبح نفس الرجل : صوته .. وهيئته وقوامه . واسلوبه في الحديث .

فقال "بيشو" :

- يمكنك أن تثق بمقدرتي .

فابتسم "جانيمار" وقال :

- المشكلة الكبرى هي أنني لا أثق بمقدرتك . !

وأولى "بيشو" ظهره وتركه للمصير الذي ينتظره ..

لم يحضر المدعوون في الموعد وإنما حضروا قبل حلوله ببضع ساعات . ! ففي الساعة الرابعة بعد الظهر بدعوا يتوافدون ويزحمون الطريق . ورجال البوليس يعانون صعوبة كبيرة في تنظيم حركة الدخول ، وما أن بلغت الساعة السابعة مساء حتى كانت المقاعد كلها قد غصت بالحاضرين وكانت هناك فرقة موسيقى تشنف أذان الحاضرين بالحانها حتى لا يتسرب الملل إلى نفوسهم ، إذ كان "لوبين" قد عزم على إقامة حفلة راقصة عقب المحاضرة .

حضروا جميعاً متلهفين يستبد بهم الفضول .. ترى ما الذي سيقع ؟.

هل سيحضر "أرسين لوبين" حقيقة . ؟ وكيف يتمكن من الفرار ورجال البوليس يسدون منافذ الطرقات ويحرسون الأبواب . ؟

وفي منتصف الساعة التاسعة نهب المفتش "بيشو" وفي رفقته أربعة من ضباط البوليس إلى منزل "شارل توجيفال" فقادهم الخادم إلى قاعة المكتب الجميلة الفاخرة الرياش .

وكان "توجيفال" جالساً إلى مكتبه يطالع فنظراً إلى زائريه من فوق نظارته وأشار إلى المقاعد قائلاً :

- تفضلوا بالجلوس .. واسمحو لي بأن أتم رسالتي إلى صحيفة (لاكورير).

واستمر يكتب نحو ربع الساعة . ثم وضع القلم وجفف الحبر وطوى الأوراق وأودعها ظرفاً كبيراً .

ثم تحول إلى المفتش "بيشو" قائلاً :

- لقد طرات على بالي فكرة .. خطر لي أن من المحتمل أن يكون هذا المناظر الإنجليزي "آرثر أنوس" رجلاً مريباً .. ؟
فقال "بيشو" :

- وهذا ما خطر لي يا سيدي .. فلا يزعجك أمره .. لقد أصدرت أمراً شديداً بعدم السماح بالدخول إلا لمن يحملون بطاقات الدعوة ، فإذا ما جاء "أنوس" اضطر إلى أن ينكر اسمه لرجال البوليس (ما دام لا يحمل بطاقة) حتى ياذنوا له بالدخول .. وإن يتخطى العتبة حتى يتبعه نفر من أقدر رجالي .. إنني اعتقد أن "أنوس" هذا هو "أرسين لوبين" نفسه .. لقد وعد بأن يظهر على المنصة فعمد إلى هذه الحيلة .. يتقدم منتحلاً اسماً آخر زاعماً أنه جاء ليحل محل "لوبين" إذا تخلف .. ! ولكنني فطنت لحيلته .. ! واتخذت الحيلة .. ! فإذا ما ظهر "أنوس" على المنصة انقض عليه رجالي .. فكن مطمئناً يا مسيو "نوجيفال" .
فابتسم "نوجيفال" وقال :

- إنني مطمئن تمام الاطمئنان ما دمت ساهراً على حمايتي .

* * *

نهض "شارل نوجيفال" واقفاً وقال يخاطب ضيوفه من رجال البوليس :

- والآن يمكننا أن نمضي إلى قاعة البلدية أيها السادة ..
وكان في انتظارهم سيارة استقلوها طوت بهم الطريق في دقائق قليلة فإذا هم أمام الدار، فصعدوا إليها من باب خاص .
أخذت الدقائق تتتابع ..

وأخيراً دقت الساعة تسع دقائق .. إبانها بحلول موعد المناظرة .
وفتح باب القاعة المتصل بمنصة الخطابة وبخل مسيو "شارل نوجيفال" .

سار "نوجيفال" مباشرة إلى المنصة يحيط به حراسة : المفتش
"بيشو" واثنان من ضباط البوليس .

ونسى الحاضرون في ثورتهم وحماستهم انهم مستاجرو مساكن
"نوجيفال" وانه يبهظهم الإيجار ولا يقدم إليهم إلا بيوتا متداعية
رطبة.. نسوا هذا امام الحادث المنتظر فتحركت ايديهم وبوت القاعة
بالتصفيق الحاد ..

صعد "نوجيفال" إلى المنصة في خطوات مضطربة وعقد يديه على
صدره في انفعال ووقف ينتظر .

وساد القاعة سكون شامل ، حتى ليسمع المرء تردد الانفاس في
الصدور .. كانوا جميعا ينتظرون .. ويترقبون .. ويتلهفون ..

ترى ايير "ارسين لوبين" بوعده ؟ ايحضر حقا ؟ ام تكون هذه اول
مرة ينكث فيها العهد ؟ وإذا حضر فكيف يتسنى له الفرار ودار
البلدية محاصرة ورجال البوليس السري منتشرون في كل مكان .

"سيحضر لوبين" .. كلا .. لن يجرؤ على الحضور .. بل سيحضر ..
بل لن يحضر ..

بهذا تهامس الحاضرون في وجل ولهفة .. ولكن الدقائق اخذت
تتوالى دون ان يبدو اي اثر لـ "ارسين لوبين" .

وفجأة نهض احد الجالسين واقفا . واستقرت عليه الابصار .. وقال
الناس : ربما كان هذا هو "لوبين" !

وتكلم الرجل وهو يعبث بلحيته الطويلة قائلا :

- بما ان "ارسين لوبين" قد تخلف عن الحضور فإنني ساتولى
مناظرتك بدلا منه يا مسيو "نوجيفال" كما اتفقنا على ذلك .

وسار إلى المنصة .. ثم قال :

- لقد اعدت نقاط الموضوع وارى ان ..

ولكن قبل ان يمد يده إلى جيبه كان رجال البوليس السري قد
اطبقوا عليه ، وقبل ان يدري احد من الحاضرين حقيقة ما حدث كانوا
قد انتزعوه من المكان ومضوا به إلى إحدى القاعات المجاورة .

وتقدم المفتش "بيشو" من "شارل بوجيفال" وقال وقد اشرق وجهه ابتهاجا .

- هذا كل شيء يا سيدي . ! ولست ارى ما يدعو إلى بقاءك ، فيمكنك ان تعجل بالانصراف .

وامر ضابطي البوليس بمرافقة مسيو "شارل بوجيفال" إلى سيارته.

واسرع هو إلى القاعة المجاورة لاستجواب الأسير الملتحي . !
وكان مستر "آرثر أنوس" ثالثا هائجا شديد الغضب .
وكان يصيح قائلا :

- تبأ لكم . ! لماذا تشدون لحيتي . ! والله لو حاول احد منكم إن يجذب لحيتي مرة أخرى لدققت عنقه . ! ستعلم الدنيا بأسرها هذه الفضيحة التي ارتكبها البوليس الفرنسي . !

وحين دخل "بيشو" إلى القاعة اقترب منه أحد رجاله وقال :
- إنها لحية حقيقية .. غير مستعارة . !
فقطب "بيشو" جبينه وقال :
- لحية غير مستعارة ؟ .

- نعم .. لقد جذبتها مرارا بكل قوتنا فلم تنخلع في أيدينا . !
ومع الرجل أوراقه الشخصية التي تثبت انه يدعى حقيقة "آرثر أنوس" . !

ونظر المفتش "بيشو" في الأوراق وعرف انها صحيحة .
وادرک ان غلطة قد ارتكبت .. غلطة جسيمة . !

واقبل على الرجل يقول :

- لماذا جئت باريس ؟ .

فصاح "أنوس" مزجرا :

- لقد دعيت إلى الحضور .. كنت في لندن فاستدعيت .. جاعني سيد

لا اعرفه واعطاني أربعين جنيهها وطلب إلي أن اناظر مسيو "شارل بوجيفال" في موضوع عقوبة الإعدام .

فحملك المفتش "بيشو" دهشا .. ما معنى ذلك .. لا شك ان هذا السيد المجهول هو "ارسين لوبين" .. ولكن إلى اي غرض يرمي بدعوة "ارثر أنوس" إلى القاء المناظرة ؟

وهز بيشو كتفيه وقال :

- مهما يكن من الامر فقد استرحنا من "ارسين لوبين" وارغمناه على الفرار . اكرهناه على التخلف عن الحضور وهذا انتصار ينبغي ان يحسب له حساب . !

ورجع إلى إدارة الامن العام فوجد المفتش "جانيمار" في انتظاره وهو يتلهف على الانباء .

وابتدره "جانيمار" بقوله :

- كنت أوشك ان أخف إلى دار البلدية لأهنتك بانتصارك العظيم واقتناصك "ارسين لوبين" .

فزوى "بيشو" ما بين حاجبيه وقال :

- لا تتهمك .

- اتهمك ؟ أتريد ان تقول إنه أفلت منك ؟

- حسبي اني اكرهته على عدم الحضور . !

وروى القصة .. فلما فرغ منها قال "جانيمار" في غيظ وغضب :

- يا للحماقة . ! لماذا لم تتصل بنا تليفونيا ؟

وانبعث واقفا وغامر مكتبه وهو يجري وعلى رغم شيخوخته هبط السلم وثبا . واستقل سيارة امر سائقها بان يطير به إلى بيت مسيو "شارل دوجيفال" .

وقال "جانيمار" يسأل الخادم :

- هل مسيو "دوجيفال" موجود ؟

- نعم .. لقد رجع منذ ساعة .

- وأين هو .. ؟

- في غرفة مكتبه يا سيدي .

ولكن "شارل دوجيفال" لم يكن في غرفة المكتب . لا ولم يكن في مخدع

النوم.. !

طافوا بالحجرات يبحثون ويفتشون .. واخيرا عثروا عليه في غرفة مهجورة فوق سطح المنزل .. ! وكان مقيدا كمكما .

حلوا وثاقه ورفعوا الكمامة عن فمه . فتكلم . !

قال إن "أرسين لوبين" زاره بعد ظهر اليوم وهو جالس في مكتبه يقلب النظر في المحاضرة ، دخل عليه "لوبين" بواسطة السرداب السري الذي يصل مباشرة بين الجراج وقاعة المكتب .
فقال "جانيمار" :

- وإن فإن "شارل دوجيفال" الذي استقبل "بيشو" والضابطين في قاعة المكتب لم يكن أنت .. ؟

- لا .. لأنني كنت سجيناً في هذه الغرفة .

فابتسم "جانيمار" وقال :

- الآن صح رأيي .. حضر إليك "لوبين" وسجنك ثم تقمص شخصيتك.. ارتدى ثيابك .. وتنكر على صورتك .. وقلد صوتك .. ثم ظهر على منصة الخطابة في تمام الساعة التاسعة .. كما وعد .. !
"بيشو" يتولى حراسة "شارل دوجيفال" وهو واقف على منصة الخطابة دون أن يدري أن "دوجيفال" ليس سوى "أرسين لوبين" متفكراً . ! ياله من شيطان . ! لقد استطاع أن يبر بوعده ويفر هارباً غير مبال بالملأ من رجال البوليس الذين انتشروا في المكان . ! حقا إنه داهية أريب . !
ولم ينصرف "لوبين" خاوي اليدين .. كان في قاعة المكتب خزانة وكان في الخزانة سندات لحاملها وأوراق مالية .. ومجموعة من الجواهر قيمتها ربع المليون فرنك .. فاخترقت .. !

وبعد شهر من هذا الحادث تلقت "إيفون دورني" رسالة مرفقا بها شيك بربع المليون فرنك . وهذا نص الرسالة :

"أساء إليك "شارل دوجيفال" إساءة بالغة ... واهمل الطفلة البريئة

المسكينة.. واني لاعلم ان جراح قلبك لم تندمل .. فاسمحي لي بان اقدم
إليك عزائي على صورة الشبك المرفق :
"أرسين لوبين"

تمت بحمد الله

هذه فرصتك .. أرسل طلبك اليوم .. !
الروايات الكاملة .. والمعربة
للروايات البوليسية العالمية
أرسين لوبين

إدفع ثمن (٥) روايات واحصل على ٦
أخي القارئ العربي :
تحية وبعد،

هل سبق لك وسمعت عن روايات أرسين لوبين
نعم..

إنها أشهر الروايات البوليسية..

هذه فرصتك اليوم.. وليس غداً، إن دار ميوزيك تتيح لك هذه
الفرصة النادرة، لإقتناء جميع روايات أرسين لوبين.
نعم جميعها ومعربة !

ثمن النسخة الواحدة (٢) دولاران أمريكيان، وثمان (٦) ست روايات
(١٠) عشرة دولارات أميركية، وذلك تدفع ثمن (٥) خمس روايات
وتحصل على رواية إضافية مجانية.

ترسل الطلبات بموجب شيك على أي مصرف في لبنان وبالدولار
الأمريكي، ودار ميوزيك لا تتحمل مسؤولية إرسال أي مبالغ نقدية
داخل الرسائل !

أقطع الكوبون، وضع علامة ☒ على رقم الرواية التي تريدها،
 وأرسله مع الشيك بالبريد المسجل (المضمون) وان يكون الشيك
 مسحوب على مصرف في لبنان على العنوان التالي :
 دار ميوزيك : ص ب ٣٧٤ - جونية - لبنان
 ملاحظة : جميع الشيكات : باسم
 دار ميوزيك
 أرجو سرعة إرسال الروايات التالية :

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١
٢٠	١٩	١٨	١٧	١٦	١٥	١٤	١٣	١٢	١١
٣٠	٢٩	٢٨	٢٧	٢٦	٢٥	٢٤	٢٣	٢٢	٢١
								٣٢	٣١

الإسم : _____
 العنوان : _____
 ص ب _____ المدينة : _____ الرمز البريدي : _____
 الدولة : _____
 مرسل طية شيك بمبلغ _____ دولار أمريكي.

**هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها
سارع في إرسال طلبك !**

الجاسوس الأعمى	٢٣	أرسين لوبين بوليس آداب	١
الجنة المفقودة	٢٤	أرسين لوبين بوليس سري	٢
الجرائم الثلاثة	٢٥	الماسة الزرقاء	٣
الجريمة المستحيلة	٢٦	أرسين لوبين رقم ٢	٤
الجزاء	٢٧	أرسين لوبين في السجن	٥
الجلاد	٢٨	المعركة الأخيرة	٦
الخدعة الكبرى	٢٩	أرسين لوبين في موسكو	٧
الخطر الأصفر	٣٠	أرسين لوبين في قاع البحر	٨
الخطر الهائل	٣١	أرسين لوبين في نيويورك	٩
الدائرة السوداء	٣٢	استنان النمر	١٠
		الميراث المشؤوم	١١
		اصبع أرسين لوبين	١٢
		لصوص نيويورك	١٣
		اعترافات أرسين لوبين	١٤
		الإبرة المجوفة	١٥
		الإنذار	١٦
		الباب الأحمر	١٧
		الفرنس أرسين لوبين	١٨
		التاج المفقود	١٩
		الغضب	٢٠
		الجائزة الأولى	٢١
		الجائزة الكبرى	٢٢